شـــاديــة

شـــاديـــة

الرواية الفائزة بمسابقة قلم

وردة شوقـــي

اسم الكاتبة: وردة شوقي
اسم الكتاب: شادية
تصميم الغلاف: فاطمة الشمنهوري
المراجعة اللغوية: جهاد أبوزينة
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – أكتوبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

"عليك أن تصدق أن أهدافك قابلة للتحقق،
عندما تؤمن بذلك، فإن عقلك يبحث عن وسائل
تجعلها تتحقق .. لا تجعل التردد يهزمك"

باولو كويلو

في إحدى قرى الصعيد، حيث الزحام يملأ جميع الأماكن، تسكن العديد من العائلات، منقسمين إلى فئتين؛ الهوارى والعرب.

يعيش الجميع بهذه القرية في سلام، إلا أن هوارى تعتبر نفسها مالكة لكل الصلاحيات بهذه القرية، ولها الأفضلية على العرب، وبالرغم من ذلك فهم يحترمون ويقدِّرون العرب، وتوجد علاقات متبادلة بينهم، وعادات وتقاليد يلتزم بها الجميع، سواء العرب أو الهوارى.

في هذه القرية يعتبرون أن البنات عار، وما خلقت إلا لتتزوج، وتنجب وتعمل في بيتها كترس في آلة، وتوجد أحقية للولد في بعض العائلات بهذه القرية بممارسة كافة حقوقه، ويفضل على البنات في كل شيء.

يتحكمون في البنات تحكمًا شديدًا، فيقتلون طموحاتهم، ويبرمجونهم على فكرة الزواج منذ الصغر، ويجعلونهم يرضون بالواقع، وتنتقل هذه البرمجة إلى جميع الأجيال المقبلة بهذه القرية، وحتى

المتعلمون من الرجال، لا يساهمون في تغيير معتقدات وعادات أصحاب هذه القرية؛ بل يشجعونهم ويفعلون مثلهم، وتصبح البنت هي ضحية هذه المعتقدات، وتسلب منها جميع حقوقها، ولا تستطيع التعبير عن آرائها وأفكارها مهما كانت درجة ذكائها، ويمارسون كافة أنواع الظلم عليها من(ختان الإناث، والزواج المبكر، وحرمانها من التعليم .. إلخ)، ولا أحد يهتم لأمرها.

في ظل هذه الأجواء والعادات، وفى صباح يوم شبَّت فيه النار في أحد بيوت القرية، ولدت بطلة قصتنا" شادية"لأب من كبراء العرب بهذه القرية يُدعى" أحمد"، وأم من أشرف وأنبل نساء هذه القرية، تُدعى "أحلام"، وقد رزقت من قبل بطفلين،" فاروق وكمال"، وعلى عكس بيوت القرية فرح جميع أفراد الأسرة بقدوم شادية، وخاصة ستها "حمدية" ، فهي من اختارت اسم شادية لتكون عنوان للقرية فيما بعد كما سنرى.

وفي مساء اليوم نفسه ولدت" سما"ابنة أخي أحلام، فكانت نحيفة للغاية، وناصعة البياض، فلم تفرح بها عائلتها، وأرادوا قتلها، ولكن والد شادية منعهم ولم يعرف وقتها لماذا منعهم؟!

إلا أن شيئًا غريبًا بداخله تحرك حينما رأى هذه الطفلة تصرخ، كأنها تستغيث به لينقذها من شر هؤلاء الناس فقال لهم:

إن لم تريدوا تربيتها فدعوها لي أربيها مع ابنتي..

فقالوا له :

أأنت أحمد الذي يكره البنات أم شخص آخر لا نعرفه؟

فقال لهم:

منذ أن رأيت شادية وأنا أشعر أن في البنات سر غريب، وحكايات لم أعرفها بعد..

فقالوا له:

لقد أصابك الجنون، منذ أن رأيت ابنتك وأنت طائر تهلل، وتريد أن تنجب نساؤنا بناتًا، وتمنعنا من محو عارنا قبل أن يكبر!!

فقال :

لم يصبني الجنون يا قوم، ولكن رأيت في عينيها شيئًا لم أره في أي بنت من قبلها، فرقَّ قلبي برؤيتها، ثم نظرت إلى ابنتكم فشعرت بأنها تستغيثني، فرقَّ قلبي لها هي الأخرى فمنعتكم من قتلها..

ثم استطرد يقول:

ارحموها واتركوها تعيش..

ما كان من أهلها إلا أن استجابوا لما طلبه أحمد منهم، فقد كانت له كلمة مسموعة عند جميع العرب؛ حيث إنه كان يلقب بـــ"شيخ العرب."

******

طار أحمد من الفرح بقدوم" شادية"، على الرغم من كرهه الشديد للبنات من قبل؛ حيث إنه كان أبًا لطفلة تُدعى" ملك"من امرأة أخرى غير أحلام، تدعى" أسماء"، ثم ماتت، وترك ابنته عند أهل والدتها، ثم سمع عنها أخبار غير سليمة، وأتى بها للعيش في هذه القرية، فلم تستطع البنت العيش بالقرية، حيث أحرقت نفسها، وماتت بعد

إنجاب أحلام لطفلها الأول" فاروق"، فلذلك كره البنات، وكره كل ما يتعلق بهم إلا أنه حينما أتت شادية إلى هذه الحياة أحس بشيء مختلف، وبأنها ستكون حبيبة قلبه، وشيئًا ما ذات يوم، فهو صحيح لم يعرف التنجيم، ولكنه توقع ذلك من ملامحها الصافية، وسواد عينيها، وعيناها الواسعتان التي توحي بكل أنواع البراءة، وسمار بشرتها.

كبرت شادية يومًا بعد يوم، وزاد تعلق عائلتها بها، فتعلمت تقاليد عائلتها وحافظت عليها رغم صغرها، فأحبها والدها حبًّا كثيرًا، وكان دائمًا يناديها :

صغيرتي المدللة..

ثم أتى ميعاد التحاقها بالمدرسة الابتدائية، فقدَّم لها أحمد بمدرسة القرية، والتحقت بالصف الأول الابتدائي، هي وسما ابنة خالها، فاعترض خالها" حمزة"على التحاقهما بالمدرسة، وقال لوالديهما:

من الأفضل أن لا تذهب البنات إلى المدارس، فاهتموا بتعليم الأولاد، واتركوا البنات، فكلها سنتين أو ثلاثة ونزوجهن، فما لهم بالتعليم..

فاعترض أحمد على كلامه وقال له:

زواج !!أي زواج الذي تذكره أمام البنات الآن؟!

ثم استطرد قائلًا:

اهتم ببناتك، واترك أمر بناتنا لنا..

فغضب" حمزة"لذلك القول، ولم يذهب إلى بيت أخته لسنة كاملة بعد ذلك..

وفي بداية الأمر لم تهتم شادية بالتعليم كمثل جميع أطفال القرية تلعب، وتمرح هي وسما، وجميع بنات القرية اللاتي في سنها لم تعرف شيئًا، ولم تهتم بشيء، تبدو عليها ملامح الطفولة والبراءة، ولكنها كانت مفعمة بالحماس؛ حيث إنها كانت تذهب لقضاء جميع ما يطلب منها، مثل شراء الفراخ من بيوت القرية كعادة أهل القرية، وكانت تحب أن تذهب إلى السوق مع أبيها الذي يعقد كل يوم سبت من الأسبوع؛ حيث يذهب إليه أفراد القرية من الرجال لشراء اللحمة أو الفراخ، وجميع متطلبات البيت من الفواكه والخضراوات.

وبالرغم من عمرها الصغير إلا أنها كانت تحلم بأن يرزقها الله أختًا من أمها وأبيها، وكانت تعشق البنات، ولكن أمها أنجبت ثلاثة أولاد بعدها، ولم تنجب بنات، وكانت دائمًا تقول لأمها بأنها تتمنى أن يكون لديها أخت تشاركها كل حياتها.

وعند إنجاب معتز ذهبت الأم إلى دكتورة النسا والتوليد، ورافقتها الأسرة ومعهم شادية، ولكنها انتظرت في سيارة والدها في لهفة شديدة تدعو الله بأن تكون بنتًا لتلعب، وتمرح معها، وتشاركها أحلامها..

فقالت لها ستها حمدية لترضيها:

جاءت بنت مثل القمر، تشبهك تمامًا يا صغيرتي..

فقالت لها شادية، وقد أدركت أنها تكذب عليها:

أريد أن أحملها يا ستي..

فقالت لها ستها خوفًا من أن تكتشف أنه ولد فيضايقها هذا الأمر:

ما زلت صغيرة، ولا تستطيعين حملها..

فقالت شادية بنظرة حادة:

أنت تكذبين عليَّ يا ستي، لقد أتى ولد..

- من قال لك هذا؟

-عيناك..

فحضنتها ستها وقالت لها :

نعم يا صغيرتي أنه ولد فلا تحزني .. غدًا ستكبرين، وتتزوجين، وتنجبين بنتا تكن لك بنتًا وأختًا وصديقةً وأمًّا لك في الوقت نفسه، أما الآن اعتبريني أختك الصغيرة، والعبي معي كما شئت..

فضحكت شادية من قول ستها، ووضعت قبلة على جبينها، وقالت بصوت منخفض:

هذه إرادة الله، وليس لي يد بها فسأصبر إلى أن أكبر، ويرزقني الله ببنتٍ تشبه ستي، وسأشاركها كل تفاصيلي..

وعوضت شادية حرمانها من وجود أخوات بنات لها من خلال أصدقائها، وستها التي كانت تقيم عندها ليلَ نهار، فتلعب وتمرح معها، وشاركت ستها كل أحلامها، وحكت لها ستها كل ذكرياتها،

وشاركتها ماضيها مع جدها، وتفاصيل حبهم الشديد لبعضهما الذي كان يضرب به أهل القرية المثل للحب والإخلاص، وحكت لها أيضًا عن حب جدها لصوت فيروز ونجاة، واستمتاعه بسماع صوت أم كلثوم في الراديو؛ حيث كان يعشقه كثيرًا.

فعاشت شادية مع جدتها، وتعلمت منها أسمى معاني النبل، والإخلاص في العمل وحب الآخرين والتضحية من أجل الآخرين، ومن أجل تحقيق الأحلام، ومساعدة الآخرين، وتقديم العون لهما حينما يحتاجون ذلك، ، وتعلمت أيضًا أن الإنسان المؤمن قادر على تذليل كل الصعوبات التي تواجهه، وخوض كل المعارك لنيل المطالب، وحكت لها ستها عن ذكريات عرسها هي وجدها، وجمالها في مرحلة الشباب؛ حيث كان الجميع يتسابق على الفوز بها، ولكنها اختارت جدها، وعاشا مع بعضهما في حب متواصل، وكونا ذكريات لا تُنسى.

وأوصت حمدية حفيدتها شادية بأنه إذا حان وقت الموت، وجاء الليل لا تخرجها من البيت بالليل لخوفها الشديد من الظلام، وأن تجعل أمها، وأخوالها ينتظرون الصباح لإخراجها إلى قبرها، وأوصتها أيضا

بعدم الحزن عليها، وتذكرها بعد وفاتها بكل خير، وإقامة الأفراح والحفلات عند موتها، وأوصتها بأن تطرد كل من ينوي النواح والبكاء عليها، وأن تساند أمها دائمًا في كل شيء، وتكن لها أمًّا وأختًا وابنةً طوال حياتها.

******

التحقت شادية وسما وبعض من بنات القرية بالكُتَّاب لحفظ كتاب الله عند أحد شيوخ القرية، وكان من أعظم شيوخها؛ حيث إنه كان يحفِّظ الأطفال كتاب الله حفظًا جيدًا، ويعلمهم القراءة والكتابة أيضًا ولكنه كان يحفظهم القرآن بدون تجويد.

واستمرت شادية وصديقاتها في الذهاب إلى هذا الكتاب سنة كاملة، وبالرغم من صغر سنها حفظت جزأين كاملين عن ظهر قلب، وتعلمت القراءة، والكتابة بسرعة ثم انقطعت هي وسما وبعض من صديقاتها عن هذا الكتاب.

ثم ذهبن إلى كُتَّاب آخر يحفِّظ الأطفال القرآن أيضًا بدون تجويد، وأتمت شادية حفظ الجزء الثالث من القرآن ثم انقطعت عن هذا الكُتاب، رغم أن شيخها كان يقول دائمًا لأبيها بأنها ذات يوم ستصبح شيئًا عظيمًا، وانزعج من عدم ذهابها إلى الكتاب، ولكنها لم تهتم بذلك، ورفضت الذهاب إلى هذا الكُتَّاب مرة أخرى، واكتفت بحفظ الأجزاء الثلاثة.

ثم قضت شادية الثلاث سنوات الأولى من دراستها الابتدائية، لم تأبه بالتعليم، ولم تحبه، ولكنها تعلمت القراءة والكتابة وحفظت ثلاثة أجزاء من كتاب الله، وتعلمت بعض من أخلاقيات الدين، وكانت تحب اللعب والمرح كثيرًا، وتحب الانفراد بنفسها، وبرغم صغر سنها كانت دائمًا تحدث نفسها وعرائسها، وتتأمل في النجوم والطائرات المحلقة بالسماء، وتتخيل نفسها تزور جميع بلاد العالم مع عائلاتها، ثم تتخلى عن هذه التخيلات سريعًا، وتتذكر أن هذا من رابع المستحيلات أن يحدث.

ولم يكن المدرسون بمدرسة شادية الابتدائية مهتمين بالأطفال ولا بتعليمهم، ولا بتأسيس اللغة العربية لديهم؛ بل كانوا يدخلون الفصول ثم يجلسون على مقاعدهم، أو يتكلمون في هواتفهم المحمولة، أو يحكون ذكرياتهم أو يشرحون أشياء من المناهج دون الاهتمام بتأسيس الأطفال تأسيسًا صحيحًا في الحساب أو اللغة العربية أو اللغة الإنجليزية، إلى أن أتى الأستاذ الفاضل" عبد الكريم"، والذي كان له دور كبير في جعل شادية تعشق التعليم عشقًا كثيرًا، فبالرغم أنه مدرس علوم، إلا أنه كان يعمل جاهدًا لزرع التعليم داخل نفوس الأطفال والاهتمام بشرح دروس وتأسيس اللغة العربية والإنجليزية لديهم، ومكافأة المتفوقين منهم، فلذلك أحبه معظم التلاميذ الأطفال.

ظهر الأستاذ" عبدالكريم "في حياة شادية في سنة رابعة ابتدائي، وقام بتدريسها مادة العلوم، وتأسيسها في اللغة العربية والإنجليزية، وشجعها على التعليم؛ بل جعلها تعشقه عشقًا شديدًا، هي ومعظم صديقاتها، ولكنه كان يهتم بشادية اهتمامًا كبيرًا؛ نظرًا لأنه أدرك تميزها، وعشقها لمادة العلوم، فقد كان دائمًا يقول لها مشجعًا أمام جميع الطلاب

والطالبات :"إنه ذاهب بها إلى السماء السابعة، وبأنها ستصبح شيئًا عظيمًا حينما تكبر"، وكان يردد ذلك دائمًا في جميع الفصول التي كان يدرسها وبين جميع المدرسين، مما جعل شادية تقبل إقبالًا شديدًا على التعليم ومذاكرة المواد، وخاصة مادة العلوم التي جعلتها منذ الصغر تحلم بأن تدرسها على نطاق أوسع حينما تكبر، ولكنها لم تحلم بالالتحاق بكلية الطب كعادة الشباب؛ بل حلمت أن تلتحق بكلية الإعلام لتستطيع من خلالها تغيير قريتها.

وهكذا مرت المرحلة الابتدائية في حياة شادية، وجميع المدرسين بمدرستها لقَّبوها بملكة العلوم، وانتشر اسمها في جميع أنحاء القرية انتشارًا شديدًا؛ نظرًا لتفوقها في المدرسة، وحصولها على درجات مرتفعة في جميع المواد.

******

كان أحمد مدركًا تمامًا تميز ابنته فكان يشجعها دائمًا على المزيد، نظرًا لحبه الشديد للتعليم، ولمن يحصلون عليه، ولشغله الدائم في المحافظة بقنا، ورؤيته لبنات من داخل وخارج قنا متعلمات وذوي مكانة عالية، فقد كان التعليم يحظى بمكانة كبيرة في قلبه، رغم أنه لم يحصل إلا على الشهادة الابتدائية فقط.

وبالرغم من حبه الشديد للتعليم، فقد كان يرى عواقب تعليم ابنته، ويدرك أن أهل القرية لن يتركوها تكمل هذا التعليم، وستواجه العديد من المشكلات فيما بعد، ولكنه كان يدرك في قرارة نفسه حب ابنته الشديد للتعليم، فعزم على أن يكمل تعليم ابنته وجميع أولاده مهما كانت المخاطر التي سيتعرض لها هو وعائلته.

أنهت شادية وسما وبعض من بنات القرية المرحلة الابتدائية، والتحقا بالمرحلة الإعدادية، ولكن شادية كانت أكثرهم تفوقًا في كل شيء..

واستمر معهم أستاذ" عبدالكريم"إلى الصف الثاني الإعدادي، ثم بعد ذلك استغنت المدرسة الإعدادية عنه؛ نظرًا لكيد أحد زملائه له ولغيرته الشديدة منه، فقد قدَّم هذا الأستاذ للمدير ما يفيد استغناء المدرسة عنه، فتم الاستغناء عنه، واكتفى بأن يدرس للمرحلة الابتدائية فقط، فحزنت شادية حزنًا شديدًا عليه في قرارة نفسها، ولكنها لم تبدِ ذلك له ولا لغيره، ثم عزمت على أن تكمل ما بدأته مهما كانت الظروف فنجحت هي وسما وبعض من صديقاتها في المرحلة الإعدادية وتفوقت تفوقًا شديدًا، فقد كانت الأولى على المدرسة.

كانت شادية تدرك تمامًا بأن إكمال تعليمها أمر محال، ولكنها كانت دائمًا تنظر إلى السماء وتدعو الله بأن يتم نعمته عليها بإكمال تعليمها، وتذليل كل الصعاب أمامها لتحقيق أحلامها.

وفي ليلة من الليالي نظرت شادية إلى إحدى النجوم التي امتلأت بها السماء، وإلى القمر المكتمل في ليلة التمام، فتارة تنظر إلى النجم وتقول في قرارة نفسها:

أين السبيل إليك يا نجم

وكل الأبواب مسكَّرة بالقفول

عاهدت أيامي على الوصول

وكل أيامى تأبى الوصول

وتارة تنظر إلى القمر ثم تقول:

اكتمل القمر فأنار الكون

ليته ينير القلوب

ويملأ النفوس سرور

فابعث يا قمر بنورك أحلامي

وقل لها بربك أنري الدروب

فيارب بعزتك وقدرتك

قل لها كوني لتكون

وفي هذه الليلة أتت أحلام إلى ابنتها، فرأتها تنظر إلى السماء نظرة طويلة بدون أن تنتبه إلى أي شيء حولها فقالت لها:

ما بك يا حبيبتي؟ لماذا تنظرين إلى السماء هكذا؟

ولكن شادية لم تنتبه إلى حديث أمها في بداية الأمر وأخذت تحدث نفسها، وتقول:

لماذا كل هذا الجمال فيك يا قمر؟ هل باستطاعتي أن أنير أي شيء حينما أكبر مثلك؟ وهل باستطاعتي أن أصل إلى هذه النجوم المحلقة بالسماء؟ وهل هي صغيرة كما نراها؟ وهل يوجد عالم آخر لا أعرفه؟

ففزعت أحلام على ابنتها ثم هزتها لتنتبه إليها وقالت لها:

هل أصابك الجنون أم تعشقين أحدًا؟؟

فردت شادية مستغربة مما تقوله والدتها:

لماذا تقولين هذا يا أمي؟ !فكل ما في الأمر أنني أحب رؤية القمر ليلة اكتماله، ورؤية النجوم الساطعة في السماء في ليلة اكتمال القمر، فالسماء في هذه الليلة تبدو جميلة يا أمي للغاية..

ثم تركت أحلام ابنتها، وذهبت وهى تقول:

عليه العوض، ومنه العوض فيك؟؟

أخذت شادية تتأمل في هذه الليلة السماء ثم أتصلت صديقتها ابتسام لتقطعها عن هذا التأمل من هاتف أخيها وقالت:

-أزيك يا شادية؟

-الحمد لله .. أخبارك يا ابتسام؟

-الحمد لله .. هتقدمي على الثانوي؟

-لسه مش عارفة هسأل أبويا وأبلغك..

فقالت ابتسام:

أبويا رافض ومصر علي كده وكمان في عريس متقدملي إنتِ عارفاه، صالح ابن عمى، وأمي بتقولي هتاخدي أيه من التعليم، الجواز أفضل للبنات، وبيقولوا كفاية كده كبرتي، ورافضين أني أدخل الثانوي..

فردت شادية بنبرة مشجعة:

يا بنتي أنت لسه صغيرة، جواز أيه دلوقتي، حاولي تقنعي أهلك عشان نكمل مع بعض..

فردت ابتسام بنبرة حزينة:

رافضين والله يا شادية حاولت كتير .. سما والبنات هيكملوا؟؟

فردت شادية:

تقريبًا أهلهم رافضين كعادة أهل القرية وأنا لسه بحاول أقنع والدي، وخالي حمزة الله يسامحه بيلعب في دماغ والدي ودماغ خالي كامل عشان ما نكملش أنا وسما، بيكره التعليم قوى خصوصًا لو كان للبنات، ومقتنع تمامًا بأن التعليم ليس له أي أهمية للبنات..

فردت ابتسام:

كل أهل القرية مثله، وفاكرين أن التعليم للولد فقط أما أحنا لا

فقالت شادية بنبرة حزينة:

عندك حق يا ابتسام عشان كده لازم نغير تفكيرهم، ونجبرهم إن احنا نكمل تعليمنا بأي طريقة، ونحصل على كل حقوقنا...

فقالت ابتسام مستفهمة:

وماذا بأيدنا أن نفعل فليس لنا من الأمر شيء..

فقالت شادية:

علينا ألا نستسلم لهذا الظلم فحاولي مرة أخرى معهم..

فقالت ابتسام :

سأحاول بإذن الله، وأنت أيضًا حاولي..

فقالت شادية بصوت مليء بالقوة:

سأحاول ولن أستسلم أبدا..

فقالت ابتسام:

ربنا يسهل أمورنا ويوافقوا.

فقالت شادية:

بإذن الله سيوافقون..

أنهت شادية مكالمتها مع ابتسام، وأخذت تسأل نفسها وتردد بصوت مرتفع:

لماذا تسلب منا حريتنا، وأرادتنا ونحرم من أدني حقوقنا؟ وهل نحن عار حقًّا على مجتمعاتنا .. خلقنا فقط للزواج وإنجاب الأطفال؟؟ وهل أحلامنا لا بدَّ أن ننساها لننعم بسلام في هذه القرية؟؟ وهل سيأتي غدًا ونجد أنفسنا في نفس المكان وعلى نفس هذه الأفكار؟ .. وأسئلة لا تعد.

ثم تذكرت حال الفتيات بقريتها ففاضت الدموع في عينيها وقالت:

والله لن أجعل أحدًا يحرمني من تعليمي، فسأتخذه سلاحي الأول لتغيير هذه الأفكار والمعتقدات التي دمرت أحلام العديد من بنات القرية، سأتحدى كل الصعوبات لأمنحهم ولأمنح الأجيال المقبلة الاحترام والتقدير وجميع الحقوق..

******

- "شادية تعالي كلمي والدك."

أوقف صوت أمها شتات عقلها فأسرعت إلى غرفة الجلوس التي يقيم بها أبيها ثم قالت: ماذا تريد يا أبي؟

فقال الأب بحنان شديد:

ما بك يا صغيرتي لقد أخبرتني والدتك بأنك تنظرين إلى السماء، وتنادين النجوم والقمر؟

فردت شادية مبتسمة:

نعم يا أبي، فأنني أتأمل السماء بكل جمالها وما فيها من نجوم، وقمر مكتمل يبعث السعادة والنور لكل ما في الكون .. ثم أسأل نفسي

هل بإمكاني أن أنير شيئًا مثلهم؟ ..وهل بإمكاني أن أكون نجمًا أو قمرًا يُستضاء به سواء في قريتي أو البلاد الأخرى؟

ثم استطردت قائلة:

هل بإمكاني يا أبي أن أغير نظرة قريتي للمرأة العربية، وأغير تلك العادات التي تحرمها من الحصول على حقوقها واحترامها؟؟

ثم قالت بروح متحفزة يعرفها والده:

يا أبي أريد إكمال تعليمي مهما كلفني ذلك من صعاب فهو وسيلة الوحيدة لتحقيق أحلامي .. فهل ستسمح لي بذلك، وتكون دعمًا وسندًا دائمًا لي لإكماله؟.

ذرفت دمعة من عيني الأب الذي تأثر من كلام ابنته فقال لها:

سأكون لك دعمًا وسندًا طوال حياتي يا صغيرتي، وستكملين تعليمك إن شاء الله، وستكونين أجمل قمر وأحلى نجم حينما تكبرين، وسيرى الجميع الضياء الذي سينبعث منك بعد إكمال تعليمك، وستصبحين شيئًا عظيمًا ذات يوم، وستجبرين جميع أهل القرية على

الانحناء لك والاعتراف بمنزلة التعليم للبنات، فسيسارعون إلى تعليم بناتهم قدوة بك فيما بعد..

ففرحت شادية فرحًا كثيرًا من كلام أبيها فابتسمت ابتسامة مليئة بالبراءة والسعادة وقالت:

حقا يا أبي سيأتي ذلك اليوم الذي سأرى فيه جميع بنات أهل قريتي يكملن تعليمهن ويحققن أحلامهن، ويمنحن الاحترام والتقدير قبل كل شيء.

فقال الأب بابتسامة تنبعث منها الدفء والحنان :

حقًّا يا صغيرتي .. حقًّا..

ثم استطرد قائلًا:

فاحلمي يا صغيرتي المدللة واطلقي عنان خيالك، واصبري وكافحي وتحدي الصعاب لتصل لأقصي أحلامك، وأعلمي أنك قادرة على تحقيق كل طموحاتك وأحلامك وتيقني بالله خيرًا..

فقالت له بابتسامة:

سأحلم يا أبي.. سأحلم طالما أنت إلى جواري أدامك الله بحياتي..

فقال لها مشيرًا بإصبعه السبابة:

بل أحلمي دائمًا سواء كنت أنا بجوارك أم لا؟!

فقالت له:

ماذا تقول يا أبي؟ لا أستطيع أن أحلم بدونك، فأحلامي بدونك لا تساوي..

فقال لها مشيرًا بنفس إصبعه السبابة:

بل عليك أن تحلمي بدوني فربما يأتي يوم ولا تجديني...

فقالت له: لا تقل هذا أرجوك...

فقال لها: هذه الحقيقة يا صغيرتي، وعليك تقبلها فكلنا سنذهب للقاء الله ذات يوم..

فقالت له بحنان: ربنا يجعل يومي قبل يومك...

فقال له مشيرا بسبابته تجاهها:

لا تقولي هذا، فأنت ما زلت صغيرة ولم تحقق أحلامك بعد أما أنا فقد شابت رأسي، وحققت أشياء كثيرة، فما عادت الحياة تستهويني،

ولكنني أدعو الله دائمًا أن يطيل في عمري من أجلك أنت ووالدتك فقط، أما إخوتك فقادرون على العيش بدوني ...

فقالت والدموع كادت تقطر من عينيها:

أرجوك لا تقل هذا يا أبي..

فأومأ الأب برأسه موافقًا، ووضع قبلة على جبينها..

ثم أرادت شادية أن تستغل الموقف وقالت :

متى سأقدم أوراقي للالتحاق بالثانوية العامة يا أبي؟

فرد الأب:

الأسبوع القادم بإذن الله سأذهب إلى القرية المجاورة وأقدم لك بالمدرسة الثانوية بها..

طارت شادية فرحًا بمجرد سماع هذه الكلمات فحضنت أباها ثم قالت:

شكرا يا أبي .. أدامك الله بحياتي أبًا وأخًا وداعمًا لي طوال حياتي.

فقال لها الأب بحنان بالغ :

وأدامك كل شيء لي بالحياة يا صغيرتي المدللة، وحقق لك كل أحلامك وأمانيك..

ثم استطرد قائلًا:

يلا بقى الوقت أتأخر روحي نامي..

احنت شادية رأسها لوالدها ثم قالت، وهي ذاهبة:

حاضر يا أبي الغالي .. تصبح على خير..

ثم وضعت قبلة على جبينه، وخلدت بعدها إلى النوم، وتركته يفكر في أحلام ابنته البريئة، ويتمنى في قرارة نفسه بأن يكرمها الله بتحقيق كل ما تمنت، وأن يمد الله في عمره لكي يراها بعد تحقيق أحلامها، فيبتسم الأب بتخيل ذلك، ثم تذكر جميع الصعاب التي ستقف بينها وبين أحلامها وتلك الصعاب التي سيواجهها هو إن أصر على تعليمها، فهو من سادة العرب وعليه الالتزام بعادات وتقاليد أهل القرية، ولكنه يا أبي أن تموت أحلام ابنته أمام عينيه بسبب عادات وتقاليد خاطئة، ثم تذكر بنات القرية التي تموت أحلامهن ويعيشن

حياة بائسة لا تعني شيئًا غير أنهم تزوجن وأنجبن ثم ماتوا، فحزن لأمرهن حزنًا شديدًا.

وبينما هو على هذه الحالة يأتي صوت أحلام ليقطع تفكيره:

أحمد مش ناوي تنام ولا أنت وبنتك النهاردة أصابكم الجنون؟

فيرد أحمد وهو يعتدل في جلسته:

نفسي أعيش لما أحقق كل أحلام شادية..

فاستغربت أحلام كلمات زوجها الحزينة ثم قالت:

ربنا يديك الصحة لما تزوجها وتزوج أخواتها وتشوف عيالهم.

فقال الأب :

شادية أحلامها تكمل تعليمها يا أحلام وتدخل كلية إعلام مثل بنات المدينة، وتكن امرأة عاملة لها قدرها بمصر وتمنح الاحترام والحقوق لبنات هذه القرية.

فترد أحلام باستغراب شديد رغم ادراكها التام لكلام زوجها ومعرفتها بذلك :

تكمل تعليمها؟؟ أيه اللي أنت بتقوله يا أحمد بنات إيه اللي تكمل تعليمها في قريتنا.. أنت من سادة العرب، وعارف أن البنات آخرها للزواج، وكفاية أن معاها الشهادة الإعدادية تحمد ربنا على كده..

أيقن أحمد بأنه لا جدوى من الحديث مع زوجته الآن؛ لأنها كعادة أهل القرية ترفض تعليم البنات، ولكنها أن رأت إصراره فستستجيب له حتمًا بعد ذلك فتركها، وذهب إلى النوم.

كانت زوجته تدرك أحلام ابنتها وزوجها، وتدرك أيضًا تفكير أهل القرية ولكنها مثل زوجها تتمنى في قرارة نفسها أن ترى ابنتها ذات يوم مثل بنات المدينة.. حاصلة على إحدى الكليات، وعاملة في أحسن الأماكن ثم استبعدت أحلام هذه الأفكار من مخيلتها وخلدت إلى النوم.

******

اعترض العم" حسين"اعتراضًا شديدًا على تعليم" شادية"وخلق مشاكل لا تعد، وحاول تغيير قرار أخيه بكل السبل، ولكن والد "شادية أبى ذلك، فتفرق الأخوة، وحزن أحمد حزنًا شديدًا على ذلك؛ حيث إنه كان يحب" حسين" كثيرًا.

كان" أحمد"كل ليلة يبكي على فراق أخيه" حسين"وجميع أخوته الذين يرفضون تعليم ابنته فقد كان حائرًا بين تلبية طلب إخوته ليعود الوصال بينهما وبين إكمال تعليم ابنته.

أدركت شادية معاناة أبيها وصراعه مع كل من حوله من أجلها، ومن أجل تعليمها وتحقيق أحلامها، فذهبت إليه وقالت له:

- لا أريد أن أكمل تعليمي يا أبي...

فسألها عن سبب ذلك فقالت:

التعليم ليس له فائدة يا أبي وخاصة في بلادنا العربية، فبعد حصولي على الشهادة فماذا سأفعل بها؟ فالمرأة ما خلقت إلا لتتزوج وتربي أولادها.

وحينها خذلتها عيناها ففاضت بالدموع فحضنها والدها، وعلم أنها تريد أن تضحي بتعليمها ليعود الوصال بين أبيها وأعمامها، فقال لها وعيناه تذرف دموعًا:

التعليم هو أساس الحياة يا حبيبتي مثل الماء تمامًا، لا نستطيع الاستغناء عنه، فلا تغلطي غلطتي وتتركي تعليمك، فلن أسمح لك بذلك وستكملين تعليمك وتحققين أحلامك مهما كانت الصعوبات والخلافات، فلا تقلقي ستعود المياه إلى مجاريها ذات يوم وسيدرك اعمامك وجميع أهل القرية بأنهم أخطؤوا في حقك، وحق بناتهم حينما يرونك في مكانة كبيرة وسيقدرونك حينها وسيحنون رؤوسهم لك، وسيسارعون لإكمال تعليم بناتهم بعدك وسيتخذك البنات قدوة لهم فأنت السبيل الوحيد لتغيير العادات الخاطئة بالقرية، وإعطاء حقوق البنات المسلوبة، بها فلا تسلبي الأجيال المقبلة حقوقهم، وتمتنعي عن التغيير فأنت الأمل الوحيد، فإن توقفت حاليًّا فلن تتغير هذه القرية أبدًا .. عاهديني على أن تكملي تعليمك ولا تخوني ثقتي الكبيرة فيك وتعملي جاهدة على تغيير هذه القرية.

فقالت بجدية:

أعاهدك يا أبي .. أعاهدك.

******

التحقت شادية بالمدرسة الثانوية المشتركة الموجودة في قرية مجاورة لها؛ حيث إنه لم يكن بقريتها مدرسة ثانوية، وكانت كل صباح تذهب إليها بخطوات متسارعة ولا تلقي بالًا لكلام أهل قريتها، وتدعو الله أن يتم نعمته عليها بإكمال تعليمها وتحقيق أحلامها وتشكره على إعطائها أب مثل والدها، وتدعوه بأن يمد الله في عمره..

وحزنت حزنًا شديدًا على فقدان صديقاتها اللاتي رفض آباؤهن التحاقهن بالمدرسة الثانوية، وكان عليها أن تتأقلم على فقدانهن، والعمل على تكوين صداقات جديدة مع بنات أخريات من غير قريتها؛ حيث إنها كانت البنت الوحيدة من قريتها في هذه المدرسة، أما باقي البنات من قري مجاورة لقريتها.

تأقلمت شادية بسرعة مع مدرستها الجديدة، وكونت صدقات جديدة فقد كان الجميع يحبها، ويحترمها من مدرسين وعاملين وصديقاتها وزميلاتها، وحتى زملائها الأولاد رغم قلة تعاملها معهم.

فكانت طالبة نشطة، وذكية في الوقت نفسه، ولذلك قامت بأمور جميع الفصل وإدارته وتزينه بمساعدة زملائها، وأصدقائها، وساعدت المدرسين في ملء استمارات أعمال السنه الخاصة بالطلاب، والمشاركة الفعالة في تنظيم وإعداد الإذاعة المدرسية.

وهكذا مرت السنة الأولي لها بالمدرسة، وحصلت على درجات مرتفعة، ولكنها لم تكن من الطلاب الأوائل فحزنت وعزمت على أن تكن أول الطلاب في السنوات المقبلة.

ففرح الأب لنجاح ابنته وأمها وجميع أفراد عائلتها ثم حدث ما هو متوقع، بأن جاء ابن عمتها تامر لطلبها للزواج.

كان تامر شابًا وسيمًا حاصلًا على دبلوم تجارة، وخفيف الظل، ومرحًا وتتوافر فيه جميع مواصفات الشاب الذي تتمناه أي بنت من بنات القرية، ولكن شادية لم تكن تهتم بكل ذلك فهي تعرف جيدًا بأن

زواجها الآن منه أو من غيره سيحرمها من تحقيق أحلامها كما أنه ليس فارس أحلامها المستقبلي فرفضته رغم أنها تعلم بحبه الشديد لها منذ صغرها وقد اعترف لها بذلك ذات يوم قائلًا:

يا ابنة الخال قسمًا بربي ما عشق القلب سواك، ولن يعشق، فأتمنى أن تكوني لي وسأعوضك عن التعليم بالمال، وراحة البال والأولاد، وسأعمل جاهدًا على إسعادك.

وفي ذلك اليوم خافت شادية أن تجرح مشاعره، فحاولت تغيير الموضوع فسألته قائلة :

وما أخبار عمتي في هذا الجو؟ ولماذا لم تأتِ لزيارتنا منذ فترة طويلة؟

فهم تامر مقصدها وأصر على ترقيق قلبها فرد عليها قائلًا:

عمتك بخير، ولكن ابنها يكاد قلبه يحترق من حب اخترق كل كيانه، فلماذا لا ترحمي ضعفه أمامك يا ابنة الخال؟

نظرت شادية إلى تامر فرق قلبها له، وشفقت عليه فقالت له:

أقسم بالله بأن أي فتاة عاقلة تتمناك، ولكن قل إنني مجنونة بحبى لتعليمي وهوسي بأحلامي ولن أتخلى عنها مهما كلفني ذلك من مشاق، وأعلم جيدًا بأنك لن تستطيع الوقوف جانبي لتحقيق ذلك، فمن الأفضل لك أن تبحث عن فتاة تبادلك أحلامك وتتركني لأحلامي.

فقال لها تامر وقتها:

إن لم تكوني لي فلن تكوني لغيري.

فذهب لوالدها، وطلبها للزواج، ولكن" أحمد"قال له:

شادية ستكمل تعليمها فهل ستستطيع أن تحارب معها لإكمال تعليمها وتحقيق أحلامها أم ستستمع إلى كلام والدتك وأعمامك وتحرمها من التعليم؟؟

فقال تامر:

أنا أعشق ابنتك حقًّا، وأرغب في الزواج منها يا عمي، وأعدك بأنني سأعوضها عن التعليم بالأموال والأولاد والسعادة الدائمة .. صدقني يا عمي التعليم لا يساوي شيئًا، فافترِض معي أنها تعلمت

وحصلت على الشهادة العليا .. فهل ستسمح لها القرية أن تكون امرأة عاملة..

ثم استطرد قائلًا: لن تسمح لها القرية بذلك وستتعب كثيرًا، وفي النهاية ستتزوج وتنجب أطفالًا، وستنسى التعليم كعادة جميع النساء، فأنا أفضل من الغريب ..

فرد والد" شادية:" بنظرة حادة:

أنا لا أقصد بحصولها على الشهادة العمل بها، ولكن أن أرادت أن تكن امرأة عاملة فلن نهتم بأهل القرية وستحقق كل ما تريد.

جلس" تامر"على ركبتيه أمام عمه متوسلًا وقال:

أرجوك يا عمي .. أرجوك لا تحرمني من حب عمري، وأقنعها بأن تنسى التعليم وتتزوجني.

فقال والد" شادية:" أنت تعرف حبي الشديد لك، ولكن لا أريد أن تموت أحلام ابنتي أمام عيناي..

ثم استطرد: آسف .. لن أرغم ابنتي على الزواج منك وأنت غير قادر على تحقيق أحلامها فمن الأفضل لك أن تنساها، وسأزوجك

بفتاة أخري من العائلة شديدة الجمال.

اعترض تامر على كلام عمه وحدثت مشكلة كبيرة بينهما وقال :

ابنتك إن لم تكن لي فلن تكن لغيري يومًا، وستندم أنت وهي على رفضي قريبا، فلن أتركها تعش بسلام.

******

-ماذا فعلت؟؟ قبلت الزواج منك؟!

كانت هذه أول جملة تقولها والدة تامر بمجرد أن رأت ابنها..

فرد عليها تامر في حزن شديد:

رفضت ورفض أيضا عمي زواج ابنته مني.

فقالت الأم بتحدٍ: لا تقلق يا بني فستندم حينما تراك تزوجت بفتاة أكثر منها مالًا وجمالًا ونسبًا.

فقال تامر: لكني أحبها يا أمي وهي تحب تعليمها.

فقالت الأم: أنها فتاة متكبرة، ولن يفيدها التعليم، اتركها تفرح به حاليًا، ولكن حينما يموت أخي، وزوجته وتتزوج أنت، فلن تجد أحد

يتزوجها وستصبح وحيدة وسيتزوج كلا من أخوتها وينساها وستبكي دموع عليك وسترى ذلك بعينيك.

فقال الأبن: أأنا أُرفَض يا أمي؟؟

قالت الأم: من قال هذا؟؟ فأي فتاة تتمني الارتباط بك.

فقال الأبن : ولكنها لا تريدني.

ثم استطرد:

أريد الانتقام منها يا أمي ..أرجوك ساعديني، فقلبي يتمزق ولن يرتاح إلا حينما أنتقم منها، وأجعل عمي يركع تحت ركبتي للزواج من ابنته، وحينها لن أقبلها امرأة لي ولكن سيرتاح قلبي.

كانت والدته تكره أخاها، وتحقد عليه، وتعتقد أنه سبب وفاة زوجها، فقالت لابنها: ما رأيك أن نزور أم جلال فهي من أمهر النساء التي تقوم بالسحر والشعوذة، ونشانها لا يخيب ونقوم بعمل سحر لشادية يدمر حياتها؟.

فهز تامر رأسه دليلًا على قبوله لفكرة أمه، فاتصلت بأم جلال وحددت معها ميعادًا لزيارتها.

******

جاء يوم الخميس، وذهب تامر وأمه لزيارة أم جلال في القرية المجاورة لقريتهم وطلبا منها القيام بعمل سحر لشادية يدمر حياتها نهائيًّا.

فوافقت أم جلال على ذلك وطلبت منهما أن يأتوا بشيء من أثرها، فذهبت والدة تامر واعتذرت لشادية وأبيها عن ما بدر من أبنها، وطلبت منهما أن ينسوا ما قاله ويسامحاه، ثم أتت بشيء من أثرها فأعطته إلى أم جلال وقالت لها:

أريد عملًا لا يخيب، وسأعطيك كل ما تريدين.

فقالت لها أم جلال:

سترين بعينيك خلال يومين بأن عمل أم جلال ليس له مثيل، فسأقوم بعمل سحر سفلي لها يدمر حياتها نهائيًّا، ولن يستطيع أحد على وجه الأرض أن يفك هذا السحر، وربما ينهي هذا السحر حياتها قريبا، فاقرئي عليها الفاتحة من الآن.

فقالت لها وهي تضحك: سننتظر ونرى.

فقالت لها أم جلال مستغربة:

ولكنني أعلم أنها ابنة أخيك، فلماذا تريدين آذيتها بالسحر؟

فقالت أم تامر :

لأنها دمرت حياة ابني، وجعلته يعشقها لحد الجنون، فصار عبدًا لها ذليلًا لها ولأبيها، ثم بعد ذلك رفضته، وقالت أنها تريد إكمال تعليمها، وأريد أيضًا أن أدمرها لأجعل أخي يبكي على ابنته، مثلما أبكاني على زوجي من قبل.

-تعليم .. أي تعليم هذا الذي تريد إكماله؟

-لا أدري، ولكن كل ما أريده منك أن تدمري حياتها نهائيًّا وبدون رحمة أو شفقة عليها أو على عائلتها فهؤلاء الناس لا يستحقون الرحمة وسأعطيك كل ما تطلبين من مال.

-سأفعل مثلما تريدين يا سيدتي، وسترين ذلك بعينيك ولكنني أريد منك الآن 2000 جنيه؟

أخرجت أم تامر المبلغ، وأعطته لأم جلال قائلة :

سأعطيك مثلهما حينما يسري السحر بها.

-لا تقلقي يا سيدتي فسيسري العمل قريباً

-بإذن الله .. سيسري العمل، وستزداد فرحة انتقامي منهم لي، ولابني وسيعلمون حينها أنهم قد خسروا كثيرًا حينما رفضوا ابني.

بعدما ألقت أم تامر جملتها الأخيرة ودعت المرأة، وخرجت دون أن يراها أحد، ثم ذهبت حاملة كل ما سمعته من أم جلال لابنها فأرتاح الابن لذلك، وقبَّل يدي والدته.

******

في أحد الأيام استيقظت شادية من النوم فذهبت لأبيها فقالت له:

صباح الخير يا أبي.

فرد الأب بحنان: صباح النور على أجمل بنت في الدنيا.

فقالت شادية : أبي أريد أن أحدثك بصراحة في شيء مهم للغاية، فلا تغضب مني.

فقال الأب وهو يعتدل في جلسته: تفضلي يا حبيبتي..

فقالت شادية بجدية:

- لا أريد أن أكمل تعليمي .. ولا أي شيء آخر.

فقال الأب بغضب: هل أصابك الجنون؟!

فردت شادية، وهي تتمايل كأنها غائبة عن الوعي:

هذا قراري، ولن أكمل التعليم.

فوقف الأب وقال لأبنته: لن أسمح لك بذلك.

فبكت شادية بكاءً شديدًا وقالت معترضة على كلام أبيها لأول مرة بحياتها: سأترك التعليم لأعيش حياتي .. سأتركه بإرادتك أو غصب عنك.

ارتفع صوتها وهي تقول ذلك حتى إن أفراد العائلة أقبلوا عند سماع صوتها، وحاولت أمها تهدئة الموقف فلم تستطع..

فضرب الأب ابنته بكف لعلها ترجع لعقلها، ولكنها أصرت على ذلك، وامتنعت عن الأكل والشرب، ولم تعد تقرأ كما اعتادت من قبل فذبلت ومرضت مرضًا شديدًا.

فذهب الأب إلى بيت تامر، وطلب منه أن يرحم ابنته، ولا يؤذيها فقال تامر: ما بك يا عمي؟

فقال الأب:

شادية تدمر حياتها .. لا تنام ولا تأكل ولا تشرب، ولم تعد ابنتي التي كانت من قبل.

فقال تامر بسخرية:

وما شأني بها فهذا قرارها وهي حرة في ذلك فاجعل التعليم يساعدها على الرجوع لعقلها والشفاء من مرضها ...

فتوسل والد شادية إلى ابن أخته بأن يرحم ضعف ابنته، ويخبره ماذا فعل بابنته، ولكن تامر قال له بسخرية شديدة:

خليها تتعذب مثلي تمامًا لتشعر بمعاناتي .. وخلي التعليم ينفعها..

فقال الأب وهو مماسكًا في خناق تامر:

أقسم بالله إن عرفت أنك من سحرت لها فلن يرحمك حينها مني أحد، وسأفعل المستحيل لتعود مثلما كانت وستكمل تعليمها...

******

استمرت شادية على هذا الوضع شهرًا كاملًا فمرضت مرضًا شديدًا، فذهب بها الأب إلى العديد من الأطباء، ولكنهم جميعًا أكدوا على عدم وجود مرض محدد بها.

فتيقنت والدة شادية من أن تامر وأمه قد سحروا لابنتها وأخبرت زوجها بذلك، فذهبوا بها إلى كل شيوخ القرية، ولكن لم يستطع أحد منهما أن يفك السحر.

كانت حالة شادية تزداد سوءًا يومًا بعد يوم والأب حزين لرؤية فلذة كبده تذبل أمام عينيه ويخشى أن تبدأ المدرسة، وهي على هذا الحال، فتضيع منها سنة من غير فائدة.

كان قلب أحمد يكاد ينفطر كلما رأى ابنته على هذه الحال، ويسأل نفسه:

أي ذنب ارتكبته ابنتي حينما أرادت إكمال تعليمها؟ !هل كان عليها أن تقبل بتامر، وتنسي أحلامها؟ !وأي سحر هذا الذي أصابها؟ !

وفي ليلة من الليالي ذهب الأب إلى(حوش)البيت ونظر إلى السماء، فرأى القمر مكتمل والنجوم تملأ السماء، فتذكر حب ابنته

الشديد لرؤية السماء في هذه الليلة والدموع تذرف من عينيه فأخذ ينادي ويقول:

يا من إذا سألك الغريب أجبته بمأوى وحسن الدار، أسألك يا قدير بأن تشفي ابنتي من جميع الآلام، وترجعها لعقلها فإني لا أقوى على رؤيتها في هذه الحالة، فليس لنا غيرك يا الله.

لم يترك الأب صلاته يومًا، ولم ينس أن يدع لابنته فيها، ولم يجعل ابنته تترك صلاتها لأنه كان يؤمن بأن الله سيستجيب له، وسيشفي ابنته مما هي فيه.

وفي كل ليلة كان أخو شادية" معتز"الذي أنعم الله عليه بحفظ كتابه، وهو في سن خمس سنوات يتلو القرآن على جبهة أخته، وكانت هي تردد وراءه.

استمرت" شادية"على هذا الوضع سنة كاملة، فحزن الأب على ضياع سنة منها، أما أهل القرية فقد ظنا بأنها لن تذهب إلى المدرسة مرة ثانية وأخذوا يتهامسون فيما بينهما قائلين:

احمد لله لقد أراحنا الله منها، وكرهت التعليم بنفسها، وستموت قريبًا .. يا رب يكون أحمد أتعظ من اللي حصل لبنته..

كان" أحمد"مدركًا بكل حوارات أهل القرية، ولكنه لم يهتم بها، فقد كان كل ما يشغله هو شفاء ابنته.

وفي فجر أحد الأيام بعدما انتهى من صلاته في المسجد القريب من بيته رأى شيخًا غريبًا عن القرية يجلس بجوار المسجد فسأله :

لماذا تجلس أيها الشيخ هنا، فإنك ستمرض يا أبي فالجو بارد جدًّا؟؟

فقال الشيخ:

إنني غريب يا بني عن القرية، ولا أجد مكانًا لكي أنام فيه، فقد تقطعت بي الدروب بعد موت زوجتي وابنتي..

فأشفق أحمد عليه فقال بحنان:

تعالي معي يا شيخ إلى بيتي لتستريح وتنام هذه الليلة فيه، إلى أن أدبر لك منزلًا في قريتنا لتعيش فيه.

فقال الشيخ :

لا أريد أن أثقل عليك يا بني فاتركني وشأني.

فقال أحمد:

أتريد أن أتركك والله يحب العبد الذي يساعد أخاه، فإني والله منذ رأيتك أحببتك في الله، فتعالَ معي بدون نقاش أيها الشيخ.

فلم يستطع الشيخ أن يرفض طلب أحمد هذه المرة وذهب معه إلى بيته، ولكنه منذ أن خطا الخطوات الأولى في بيته أدرك شيئًا غريبًا، وروحًا شريرة، وسحرًا تكاد تهتز له الجبال أصاب أحد من أفراد عائلة أحمد.

فسأل الشيخ عن أخبار أهل البيت فقال أحمد والدموع تنهمر من عينيه:

"والله يا شيخ كلنا بخير، ولكن ابنتي منذ فترة وهي تائهة ومريضة، فهي كلما أقبلت على صلاتها نراها تصرخ من الخنقة والمرض، فلا تستطع إكمالها، وذهبنا بها إلى كثير من الأطباء، وأكدوا جميعًا بأنها سليمة ولا يوجد بها أي مرض".

فقرر الشيخ مساعدة أحمد، ووعده بأن شفاء ابنته سيكون قريبًا على يديه فشعر أحمد حينها بالأمل.

ظلَّ الشيخ لمدة أسبوع في بيت أحمد يقرأ القرآن على جبهة" شادية" وفي جميع أنحاء البيت، وقرأ على ماء لتغتسل منه شادية مرتين باليوم.

وفي فجر أحد الأيام استيقظت شادية من النوم، فشعرت بأنها عادت لطبيعتها، وبأن الله أنعم عليها بالشفاء، فشكرت الله ثم شكرت الشيخ وأسرعت إلى أبيها لتخبره، فبحثت عنه في جميع ارجاء المنزل فوجدته يصلي.

وبعدما انتهى الأب من صلاته قالت له :

لقد شفاني الله يا أبي وأشعر أنني عدت لطبيعتي، وأريد أن أعوض كل ما فاتني من التعليم ومن كل شيء.

فقال الأب وهو لا يكاد يصدق ما تقوله ابنته:

حمد لله على سلامتك يا حبيبتي.

ثم ركع الأب ساجدًا لله والدموع تذرف من عينيه وحضن ابنته وقال:

ستعوضين كل ما فاتك، وستكملين تعليمك، ولن أدع أي شيء يوقفك بعد ذلك .. انسي ما مضي وأبدئي من جديد..

فذهب الأب مسرعًا إلى الشيخ فشكره، ثم أخبر زوجته، وجميع أبنائه، ففرح الجميع فرحًا شديدًا، وركعوا ساجدين لله على شفاء حبيبة قلبهم.

******

جاءت السنة الثانية لشادية بالمدرسة، وكانت شادية قد عزمت على الجد والاجتهاد من قبل، وأرادت أن تستزيد من التعليم، فكانت دائمًا تذهب إلى مكتبة المدرسة لتقرأ وتستعير الكتب، فعرفها أمين المكتبة" ناجي"، الذي كان يكره تعليم البنات كعادة أهل القرية، ولكنه حين رأى أخلاقها، وذكاءها، واجتهادها، وإقبالها الشديد على التعليم

غير نظرته عن تعليم البنات، ولكن لم يستطع أن يأخذ قرار إكمال تعليم ابنته، فحرص دائمًا على تشجيع شادية، وإعانتها بكل السبل الممكنة لإكمال تعليمها.

أقبلت شادية على مذاكرة دروسها إقبالا شديدًا، فقد كانت تذاكر ليلًا، ونهارًا، وتدعو الله كثيرًا في صلاتها، وقيامها بأن تكون عند حسن ظن أبيها وأمها، وتكن الأولى على جميع الطلاب بمدرستها.

وكان هناك طالب يُدعى" علاء "من قرية مجاورة للقرية التي تسكن فيها شادية وزميلًا لها بالمدرسة الثانوية غاية في الجمال، والغرور، ولم يعطِ بالًا للتعليم، أحبها حبًّا شديدًا، فمنذ أن رآها وهو يدعو الله أن تكن من نصيبه، ولكنه لم يستطع أن يصارحها بحبه لها، واكتفى بإخبار أصدقائه بذلك.

كان أصدقاء" علاء "ذوي سمعة سيئة بالمدرسة، ولم يستطيعوا كتمان سره بحبه لشادية فكلما راءوا شادية تذهب إلى دروسها ضحكوا قائلين: يا ليت" علاء "بالجميل يفوز.

ولكنها لم تأبه، بكلامهم فقد كان اهتمامها الشاغل تعليمها وأحلامها التي كانت دائمًا تحدثها قائلة:

متى ستسمح لي الحياة بتحقيقك أيتها الأحلام؟؟

فذهب" علاء "إلى الأستاذة" مروة "مسؤولة اجتماعية بالمدرسة، تساهم في حل جميع مشاكل الطلاب والمدرسين بالمدرسة، فاعترف لها بحبه لشادية، وطلب منها مساعدته ومعرفة رأي شادية، فيه فوافقت على مساعدته.

استدعت الأستاذة" مروة"شادية بابتسامة جميلة وقالت مرحبة بها:

أزيك يا شادية..

فردت عليها شادية مبتسمة كعادتها:

الحمد لله يا أستاذة .. أخبار حضرتك؟؟

فردت الأستاذة" مروة:" الحمد لله تمام ..

بعد سكوت طويل، بادرت الأستاذة" مروة"قائلة :

أيه رأيك في زميلك" علاء."

استغربت شادية من سؤالها، ولكنها كانت تعلم مغزاه فقالت:

مش فاهمة حضرتك تقصدي أيه؟

فردَّت الأستاذة" مروة"وهي تعدل من جلستها قائلة:

بصراحة" علاء"زميلك طلب مني أنى أتكلم معاكي .. أخبرني أنه يعشقك إلي حد الجنون ، وحابب يعرف لو في قبول من ناحيتك يتقدملك من بكرة لو حابة.

فردت شادية :

"علاء"شاب وسيم، ولكنه ليس بفتي أحلامي الذي سيساعدني على إكمال تعليمي، ولن يستطع أن يساندني لتحقيق كل أحلامي .. بلغيه اعتذاري، وقولي له ربنا يكرمه بواحده أحسن مني تصونه وتحفظه.

فقالت الأستاذة" مروة"محاولةً إقناعها:

تعليم أيه، وكلام فاضي اللي شاغله به دماغك، ما أنا قدامك أهو من المدينة، وعمري فوق الثلاثين، وكملت تعليمي، واشتغلت،

والبنات اللي أصغر مني فتحت بيت وعيلة، إنما أنا بعندي لسه في بيت بابا.

وأكملت قائلة: علاء إنسان رائع، وأي بنت تتمناه..

فردت شادية متثاقلة:

أي بنت تتمناه غيري، إنما أنا فتعليمي هو حياتي، ولو كان حضرتك لم تتزوجي إلى الآن فهذا نصيبك، وليس ذنب التعليم، وبكرة ربنا هيكرم حضرتك بإنسان يستاهلك ويصونك..

أكملت شادية: أنا بعتذر لحضرتك وللأستاذ علاء .. ياريت تبلغيه اعتذاري، وتقديري له .. أستأذن حضرتك.

خرجت شادية ولم تعرف ماذا قالت، وهل حقًّا ما قالته الأستاذة لها؟ وهل سيأتي يومًا تندم فيه على إكمال تعليمها وعنادها؟ وهل قرارها هذا كان صائبًا، أم ستندم عليه فيما بعد؟ أسئلة كثيرة دارت في مخيلتها، ولم تستطع الإجابة على أيٍّ منها، فحاولت إبعادها عن تفكيرها، وقالت لنفسها:

هذه أحلامي ولن أتنازل عنها يومًا مهما كانت الصعاب التي تقف أمامي، وسأبعد عن تفكيري كل من يحاول إحباطي أو إيقافي، ولن أقبل بالزواج من أحد الآن حتى أصل لكل أحلامي.

نسيت شادية الحوار الذي دار بينها وبين الأستاذة" مروة"ولم تأبه بنظرات" علاء"لها؛ بل إنها أرادت التخلص من نظراته، فذهبت إلى الأستاذ المسؤول عن فصلها وطلبت منه نقلها إلى فصل آخر، وبعد محاولات كثيرة معه وافق الأستاذ على طلبها.

فنجحت شادية في هذه السنه نجاحًا رائعًا، وحققت ما عزمت عليه في السنة المقبلة، وكانت الأولى على مدرستها وحصلت على ٪94 علمي علوم.

وبالرغم من حب شادية الشديد للعلوم، وما تحتويه من أحياء، وكيمياء، وفيزياء إلا أنها لم تحلم يوما بالالتحاق بكلية الطب، ولكنها حلمت من صغرها بالالتحاق بكلية الإعلام لتصبح مذيعة تتحدث باسم قريتها، وتساهم في تغييرها.

فرح أحمد بتفوق ابنته، وبمدح أساتذتها، وزملائها فيها، وتأكد تمامًا بأنه لم يخطئ يومًا حينما سمح لها بإكمال تعليمها، فقد كان يرى فيها الرزانة والوقار والعقل والحلم وبوادر التفوق منذ ميلادها.

عوضت شادية خيبة أمل أبيها في" فاروق "الذي فشل في السنة الأولى بكلية التجارة بالقاهرة، ولم يكمل تعليمه بعد ذلك و"كمال" الذي فشل في الحصول على دبلوم تجارة خمس سنوات.

******

حزن" كامل "على ابنته" سما "التي كانت تريد أن تحظى بما حظيت به "شادية "من فرصة إكمال تعليمها، فعمل جاهدًا على تعويضها عن ذلك بالحب والدلال.

وفي ذات يوم، ذهب" كامل "إلى ابنته فرأها تبكي بحرقة فقال لها:

لا تحزني يا حبيبتي فإن الله سيعوضك خيرًا عن التعليم، فالله يأخذ شيئًا منا ليعطينا أشياء، ألا يكفيك حب فارس لك.

سمعت سما هذه الكلمات من أبيها فاستغربت، وقالت بصوت منخفض:

من أين تعرف بحب فارس لي، وبعلاقتي به؟

سمعها الأب فقال:

أتي فارس اليوم، فأخبرني وطلبك للزواج مني وأنا وافقت؛ لأننا لن نجد شابًا في وسامته ودينه، وخلقه وحبه لك.

طارت سما فرحًا بمجرد سماعها ما قاله أبوها، فقد كانت ترى في فارس كل أحلامها، وتعويضًا عن تعليمها وفارس أحلامها.

جاءت أم" سما "مبتسمة كأنها سمعت الحوار الذي دار بينهما، وقالت مداعبة ابنتها: ألا يكفيك فارس؟؟!

أحنت" سما "رأسها خجلًا من كلام أمها، فاحمر وجهها فأدرك الأب ذلك فقال: على باركة الله أتفقنا وستكون خطبتكم يوم الخميس القادم بإذن الله.

علمت" شادية"بخطوبة ابنة خالها، ورفيقة دربها" سما"فدعت الله أن يتم هذا الزواج بخير، ويبارك لهما في بعض، فهي كانت تعلم بحب "سما"وفارس"منذ لحظة ميلاده.

مرت الأيام وأتي يوم الخميس، وحدثت الخطبة بين" سما"و"فارس" ولكن" شادية"لم تستطع الذهاب؛ لأنها تكره كلام نساء القرية التي كلما رأوا بنتًا في فرح أقاربها يتهامسون ويسألون عن أهلها ويقولون لها:

عقبال ما نفرح بيك قريب يا حبيبتي.

كانت شادية تكره هذه الكلمات، ونظرات النساء إلى البنات في الأفراح فبعضهم يبحث عن عرائس لأولادهن والبعض الأخر يفرز في البنات كأنهن بضاعة تباع وتُشترى.

تمت الخطبة ثم مررت الأيام سريعًا، وتزوجت" سما"من" فارس" وتمنى الجميع أن يكون زواجًا مباركًا، ثم انتقلت سما إلى بيت زوجها وانقطعت أخبارها عن الجميع..

******

مرت الأيام، وتخرجت شادية من الثانوية العامة، وحصلت على 95٪علمي علوم ففرح جميع أفراد عائلتها وانتظرت ظهور التنسيق بفارغ الصبر.

كان" أسامة" زميلًا لشادية بالمرحلة الثانوية، فبعد انتهائهم منها كان دائم السؤال عنها فقد أحبها حبًّا كثير، ولم يستطع الاعتراف لها بذلك، ولم يستطع أيضًا الإقدام على طلبها من أبيها؛ لأنه يعرف جيدًا بأنه أمر محال، فقد كان" أسامة"من هوارى، بينما" شادية"من العرب، وكعادة هوارى لا تقبل بأن يتزوج أحد من شبابها بفتاة من العرب، فحاول نسيانها كثيرًا ولم يستطع.

كانت" شادية"هي الأخرى معجبة بـ"أسامة"إعجابا قد وصل بها إلى الحب، ولكنها كانت تتجاهل ذلك، وتقول لنفسها:

لم يحن الوقت للتفكير في الحب فهذا إعجاب، وليس حبًّا، فيومين أو ثلاثة وأكيد هنساه..

ولكنها كانت تدرك في قرارة نفسها بأنه فارس أحلامها وأنها تحبه حقًّا، وأنه يحبها رغم إنه لم يعترف لها بذلك، فتجاهلت هذا الحب

لإدراكها بأن حبهم استحالة أن يكتمل، ومن الأحسن أن يموت؛ لأن قوانين ودستور الهوارى والعرب لن يتغير مهما كانت درجة حبهم لبعض.

كان يسأل كلًّا منهم عن الآخر دائمًا، فأسامة كان يطمئن عليها من أخته" خلود"صديقتها المقربة وشادية كذلك، وحينما يشتاق كل طرف للآخر يتحدث إلى خلود فهي حلقة الوصل الوحيدة بينهما.

وفي إحدى الأيام، بينما" أسامة"يسأل" خلود"عن شادية سمعت أمه ما دار بينهما في غرفة الضيوف فدخلت مسرعة وقالت:

ما هذا الذي سمعته يا أسامة ..أتحب فتاة من العرب؟ ..يا لفضيحتنا..!

ففزع الاثنان من سماعها لحوارهما، وحاولت خلود استدراك الأمر قائلة بابتسامة: ماذا تقولين يا أمي الجميلة حب أيه الذي تتكلمين عنه .

فقالت أم" أسامة:" لا تحاولي أن تغطي على الموضوع يا خلود، فأنا قد سمعت كل شيء، وحسابك معي لاحقًا فأذهبي واتركينا الآن.

ثم نظرت لأسامة قائلة:

أسامة عايزة أعرف كل حاجة دلوقتي بدون كذب ..هل هذا الكلام حقيقي أم كذب.. أحلفك بوفاة والدك؟

فرد أسامة قائلًا: ما سمعتيه حقيقة يا أمي فأنا أعشق بنت من العرب ليس لها مثيل، وهي أيضًا تعشقني، ولكن القدر سيحكم علينا بعدم اللقاء أبدًا.

فقالت الأم متأثرة بكلام أبنها: انساها يا ولدي، وغدًا سأزوجك بواحدة من سادة هوارى أفضل منها...

فقال أسامة وهو ينظر إلى أمه: سأحاول نسيانها لأنني أعلم بأن لقاءنا من رابع المستحيلات، ولا أريد أن أترك في قلبها جرح واحد، فهي تشبه الأميرة في كل الصفات فلا يوجد مثلها.

غادر" أسامة"الحجرة قبل أن تذرف عيناه دموعًا أمام والدته، فقد كان يخشى أن ترى دموعه فيحزن قلبها وعيناها..

فذهب أسامة إلى خارج المنزل وهو يردد:

"الليل قد طال

والفجر تأخرت نسماته

والدمع قد ملأ الوساد

فعصفت بنا الذكريات

تنادي الأحباب

وتشتاق لنسمات من غاب

فطال الغياب

نبكيهم كل ليلة

ونتمنى اللقاء

نغلق الغرف علينا

لنتصفح الذكريات

فتطول الساعات

فلا فجر يأتي

ولا ليل يرحل..

الليل قد طال

والفجر تأخرت نسماته

أوهمنا أنفسنا باللقاء

فجاء الليل وحجب اللقاء

نكتب الكلمات شوق

لأحباب لن يقرأها يومًا

نوهم قلوبنا كل ليلة

بأن غدًا موعد اللقاء

فيأتي ليل غد

بأحلام ضائعة

وقلوب قد زادها الليل أشواقًا" ..

******

التحقت شادية بكلية الإعلام في جامعة القاهرة، وعزمت على أن تصبح معيدة بالكلية وكان عليها أن تتأقلم مع الغربة لأول مرة في حياتها، وتتعرف على أناس تختلف عادتهم، وطباعهم وأخلاقهم عنها، وتتواكب مع ذلك، وتكون صداقات جديدة.

دخلت شادية الكلية للمرة الأولى، وهي لا تصدق نفسها بأن الله استجاب إليها وستكمل تعليمها، فمنذ لحظات دخولها الأولى تعرفت على" نرمين "التي جاءت من السويس لتدرس في القاهرة فارتاح كلا منهم للآخر، وتكونت صداقة قوية بينهما.

لم تكن شادية تعلم بأن حياة المدينة تختلف كل هذا الاختلاف عن الحياة بقريتها، فقد بهرتها المناظر ومعالم الترف الموجودة بالقاهرة، وكانت تردد دائمًا في نفسها:

ما كل هذا الجمال والسحر فيك يا قاهرة؟؟

وما كل هذه الحرية التي تتمتع بها البنات فيك؟

أيتها القاهرة المعمورة لماذا لا تلقين بعض من سحرك على قريتنا؟

ولماذا تحرم بناتنا وأخواتنا وأمهاتنا من الإتيان إليك؟؟

ولماذا تسلب حقوقهن، وهن صامتات، ولماذا تمنحين الحرية لبناتك وتحرمينا نحن منها؟

فهل نحن ليسو ببناتك؟؟

وكانت دائمًا تسترجع في مخيلتها كلمات أبيها :

يا صغيرتي لا يغرنك الترف، والملابس، والحرية التي ستجدينها في القاهرة، فكلها زائلة فحافظي على نفسك، وأحلامك لتصل لكل ما أردت، واعلمي جيدًا بأنك ما ذهبت إليها إلا لإكمال تعليمك، وتحقيق أحلامك فلا تتوه مثلما تاه غيرك في دروبها وحافظي على ثقتي التي منحتها لك.

وكلما استرجعتها هذه الكلمات ذرفت عيناها بالدموع وقالت:

لن أخون ثقتك يا أبي مهما حدث، وسأحافظ على وعدي الذي عاهدتك به، وعاهدت نفسي بأن أكمل تعليمي، وأحقق كل أحلامي، وسأكون منارة لكل بنات قريتنا، وحافزًا لهم ولآبائهم على إكمال تعليم بناتهما.

وبالرغم من كل مظاهر الترف التي رأتها بالقاهرة، إلا أنها لم تنس يومًا حبها لأسامة، فقلبها كان ينبض في كل دقة باسمه وكلما اشتاق قلبها إليه اتصلت بخلود وسألتها عنه.

مرت السنة الأولى من الجامعة، ونجحت" شادية "نجاحًا باهرًا وكانت الأولى على زملائها بالجامعة ففرحت لأنها بدأت أول خطواتها بالنجاح الباهر، وحينما علم والدها فرح فرحًا شديدًا، وقال لزوجته:

أتمنى أن يمد الله في عمري لكي أراها حاصلة على البكالوريوس، ومحققة جميع أحلامها وأحلامي.

ثم ذرفت عيناه بالدموع، وحاولت أحلام أن تطمئنه فقالت:

ستراها وسيمد الله في أعمارنا حتى نراها شيئًا عظيمًا يفتخر الجميع بها لا عائلتها فقط، وسترى أحفادك منها يفتخرون بما صنعته بإذن الله.

******

كان المرض قد بلغ من والد" شادية "مبلغا ولم يستطع مقاومته، فحزنت شادية حزنًا شديدا وخشيت أن تفقد أعز ما تملك وسندها الوحيد بالحياة.

وفي ذات يوم، والجميع نائمون ذهبت إلى والدها الذي كان يرقد على فراشه مريضًا، وحينما رأته على هذه الحالة بكت بصوت منحور وقالت:

"يا فلذة القلب أي دواء يشفيك؟

لوكان البكاء لذرفت الدموع

أتريد أن تتركني أم تعاقبني؟

وأنت تعلم بأن القلب ما ولد إلا ليحييك"..

فسمع الأب صوت بكاء ابنته، وكلماتها، فبكي بكاءً شديدًا، ومسك يديها بحنان فقال:

لا تبكِ يا حبيبة قلبي، فلن أتركك سواء بقيت معك أم رحلت، فكلنا سيأتي يومًا ونرحل، ولكن ستبقى روحي دائمًا معك تحميك وتدعو لك.

حينما سمعت" شادية "هذه الكلمات انهارت في البكاء، وقالت لأبيها:

أريد أن أرحل قبلك أو معك فلا عيش لي في دنيا أنت ليس فيها.

فرد الأب وعيونه مملوءة بالدموع:

لا يا حبيبتي فأنا قد عشت حياتي، وبلغت من الكبر عتيًّا، أما أنت فمازلت صغيرة، ولم تعش حياتك بعد فأحلامك تناديك، فعاهديني على أن تكملي المشوار من بعدي وتحققي أحلامك وأحلامي.

لم تستطع شادية حينها أن تنطق بكلمة واحدة، فربت الأب على أيديها قائلًا:

عاهديني يا حبيبة قلبي ليرتاح قلبي.

فقالت شادية: أعاهدك يا أبي..

بعدها لم تستطع شادية أن تبقى بجانب والدها، وذهبت لكي تدعو الله، فنظرت من نافذة غرفتها التي تطل على حوش بيتها،) هو مكان توضع فيه الماشية والطيور، ليس له سقف(، ورفعت يديها، والدموع تذرف من عينيها، قائلة:

يا أكرم الأكرمين أدعوك بجميع أسمائك الحسنى، وبعزتك وجلالك أن تشفي أبي، ولا تجعله يعاني، ولا تجعل الموت يحرمني منه، فأنني لا أقوى على فراقه، فهو سندي الوحيد في هذه الحياة وأجعل يومي قبل يومه.

كانت شادية تعلم بأنها كلها أيام وسيفارق والدها الحياة كما أخبرهم الطبيب، ولكنها كانت دائمة الدعاء لأبيها بالشفاء.

وفي فجر أحد الأيام أوصى الأب زوجته وجميع أفراد العائلة بعدم حرمانه ابنته من تعليمها وأحلامها بعد وفاته، وشدد على ذلك كثيرًا ثم طلب رؤية ابنته للمرة الأخيرة، فأتت" شادية "وهى مدركة بأنها اللحظات الأخيرة لأبيها فقبلت رأسه والدموع تنهار من عينيها فقال لها الأب:

لا تحزني بعدي يا حبيبتي فإن الموت سيحرمني منك، ولكنني سأكون دائمًا معك وسيكون الله دائمًا بجوارك، فعندما تحتاجين لي أقبلي على الصلاة والدعاء لي وأنا حينها سأسمعك وحافظي على عهودك لي.

ثم انتقلت روحه الشريفة إلى السماء، وهو ينظر إلى ابنته بابتسامة وهي لا تصدق نفسها بأن سندها قد مات وحاولت التماسك من أجل والدتها، ولكنها لم تستطع وظلت بجوار والدها تنظر إلى ملامحه، وتقرأ له القرآن مثلما اعتادت من قبل وجميع الحضور ينظرون إليها وقلبهم ينفطر على الأب وابنته.

اقتربت أحلام من ابنتها، وحاولت تهدئتها فقالت لها:

اهدئي يا حبيبتي، فإن الله قد اختاره فلا تجهلي يا بنيتي وأكملي الطريق بعده، وحققي أحلامك مثلما أوصي والدك ليرتاح في قبره.

فردت" شادية"والدموع قد امتلأت في عينيها:

لا أستطع يا أمي .. لا أستطع أتعلمين أنه كان كل شيء بالنسبة إليَّ، وكنت كل شيء بالنسبة إليه يكاد قلبي ينفطر، فلو ذرفت عيناي بكل دموع العالم عليه ما استطعت أن أوفيه حقه يا أمي..

******

"ألا تزال تتذكرها يا أسامة."

جاء هذا الصوت من خلف أسامه ليقطعه عن البكاء فقال :

نعم يا أمي، لا يكاد يمر يوم بدون أن أتذكرها فيه، ولكن ما يحزنني الآن هو وفاة أبيها فأنا أعلم بأنه كان كل شيء بالنسبة إليها، ولن يعوضها أحد عنه فاخشي أن تموت أحلامها بموته.

فقالت الأم متفهمة شعور ابنها:

ربنا يصبرها، ويقويها وأنت كفاية كده حاول تنساها، وأن أردت الزواج فسأزوجك بواحدة أفضل منها كما قلت لك من قبل..

فقال أسامة بصوت منخفض:

أتمنى لو استطعت أن أكن معها الآن لأشاركها أحزانها، وأخفف عنها ما هي فيه الآن، وأتمنى لو تعلم أنها حبي الأول والأخير.

فسمعت الأم كلمات ابنها فقالت:

عليه العوض ومنه العوض فيك...

انصرفت الأم وتركت ابنها لأحزانه يطالع النجوم، وعيناه تذرفان بالدموع وهو يقول:

"تمنيت الأماني ويا ليتني أصل

إلى قلب عشقه قلبي ولم أعرف ما أكن..

تمنيت هذا الحبيب ليسعدني

ولكن دروبه تأبي أن تنفتح..

رأيت فيه الكمال والجمال

وما كان الكمال يوم لبشر.

رسمت الأماني والآمال بصورته

التي يأبى الزمان لها أن تنكشف.

فتاهت دروبي ببعدك أيها المحبوب

وقلبي يكاد أن ينفطر".

******

سافرت شادية إلى القاهرة لتكمل مشوارها الذي بدأته وقلبها مليء بالحزن على أبيها، فلأول مرة لم تر أباها قبل سفرها، ولكنها كانت تدرك بأن روحه ترفرف حولها في السماء.

في بداية رحلتها إلى القاهرة لم تستطع شادية أن تمحو حزنها، فقد كانت كئيبة فبعدت عنها جميع صديقاتها، وكانوا دائمًا يسخرون منها لإهمالها في نفسها ويقولون: أي شادية إنتِ؟ .. خسارة اسمك فيك..

كانت" نيرمين"دائمًا تنهر صديقاتها اللاتي يقللن من شأن شادية، ووقفت بجوار صديقتها، وحاولت التخفيف عنها بكل الطرق الممكنة.

أهملت شادية دراستها، ولم تعد تفكر في أحلامها فاتصلت ذات يوم بوالدتها وقالت: أريد أن أترك القاهرة .. لا أستطع يا أمي إكمال ما بدأته بعد وفاة أبي.

فقالت الأم والدموع تذرف من عينيها :

لا تفعلي هذا يا بنيتي، فهذه وصية والدك، ولن أسمح لك بنقدها

.. فأكملي المشوار يا حبيبتي، فوالدك ينتظر وروحه لا تفارقك.

فقالت" شادية"وهي تبكي:

أنام كل يوم على أمل أن ألقاه، ولو للحظة وجيزة في أحلامي، ولكنه لا يأتي يا أمي وقد اشتقت إليه كثيرًا.

فقالت الأم، والدموع تزداد في عينيها:

إن اشتقت إليه فادع له، فأنه يسمعك، وأكملي تعليمك أن أردت رضاه..

ثم استطردت وهي تمسح عينيها: عاهديني على أن لا تنقضي العهد الذي بينك وبينه، وتنفذي رغبته، وتَصلي لأحلامك وأحلامه .. عاهديني..

ثم قالت شادية: لا أستطع يا أمي .. لا أستطع..

فقالت الأم مشجعة ابنتها:

ستستطعين، فأنت بنت قوية وابنة رجل قوي، وإن توقفتِ الآن ستثبتين لأهل القرية معتقداتهم، ولن تتغير أبدًا هذه القرية؛ بل من المحتمل أن تكوني مثلهم في يوم من الأيام..

فعاهديني على تحقيق أحلامك وأحلامه، وبأنك لن تتركي تعليمك مهما حدث..

تأثرت شادية بكلام والدتها فقالت:

أعاهدك يا أمي.. أعاهدك..

******

أقبلت شادية على دراستها إقبالًا شديدًا، واهتمت بنفسها حتى إن جميع الطلاب لاحظوا تغيرها، وساندتها صديقتها" نيرمين "التي أعطتها ما فاتها من محاضرات ولم تتركها يومًا.

كانت شادية دائمة النقاش في المحاضرات، وكان جميع دكاترة كليتها يحترمونها، ويقدرون تفوقها وذكاءها؛ بل كانوا يفضلونها على جميع طلاب الكلية، ويرون فيها نموذجًا حديثًا للمرأة المصرية المفعمة بالحماس، ومستقبلا باهرًا.

ولم تكتفِ شادية بحضور المحاضرات؛ بل إنها كانت دائمة الذهاب إلى مكتبة الكلية والقراءة، والبحث في الكتب، والمجلات في جميع المجالات سواء في المكتبة أو التي تنشر على الإنترنت، فتكونت

لديها عقلية متفتحة، وناضجة حتى إن كل من يتحدث معها يري فيها مستقبلًا رائعًا، ويشكر في والديها.

وقد قال دكتورها في إحدى المحاضرات لها:

أرى فيك مثالا لبنت مصرية لم تُخلق من قبل.. فإن استثمرتِ عقلك، ستصبحين شيئًا عظيمًا يُقتدى به، ونورًا يضيء كل الأكوان..

فغارت منها بعض الطالبات ودبروا لها مؤامرة فاتفقوا مع أحد شباب الكلية على الإيقاع بها، وحاول هذا الشاب معها بكافة السبل، ولكنها لم تهتم به وكل محاولاته باءت بالفشل ثم وقع هذا الشاب في غرامها.

وفي يوم قال لها:

أريد أن آتي لمقابلة والدتك لطلب يديك منها ..فإنني أحبك.

ولكنها قالت له:

إنني أحب إنسانًا آخر من بلدتي، ولم ولن أتزوج من غيره مهما حدث، فربنا يكرمك بواحدة أحسن مني.

ولكن الشاب لم يتركها في حالها، وحاول مضايقتها، وفي ذات يوم دبر خطة لخطفها، واغتصابها، ولحسن حظ شادية علمت صديقتها نيرمين بنية هذا الشاب فلم تترك شادية تخرج من المنزل في هذا اليوم، وذهبت إلى عميد الكلية فأخبرته بما يكمنه هذا الشاب لشادية، فاستدعى العميد جميع دكاترة الكلية، وقاموا بالإيقاع بهذا الشاب وشركاؤه في هذه المؤامرة، وتم حبسهم، ومعاقبتهم معاقبة كبيرة ليكن عبرة لأمثاله من الطلاب الذين تسول إليهم أنفسهم التفكير في فعل ذلك.

فعلمت شادية بما كان سيحدث لها، وما فعلته صديقتها من أجلها فسجدت لله على أنه نجاها من شر هذا الطالب وزملائه، وشكرت صديقتها نيرمين، وعميد ودكاترة الكلية.

******

أنجبت سما بنتًا وسمتها" شادية؛ نظرًا لحبها لابنة عمتها، وصديقتها التي حرمها القدر من أن تكمل المشوار معها.

كانت سما دائمة الدعاء لصديقتها، وتتمني أن تراها محققة كل أحلامها، وتمنت أيضًا أن تتغير عادات، وتقاليد القرية لتحظى ابنتها بما حظيت به صديقتها.

وفي ليلة من الليالي ضاق صدرها حينما تذكرت ما حدث لها، فقالت وهي تنظر إلى السماء:

"العلا؟ !أتدرون ما العلا؟!

شعور غريب يطمئن كل النفوس الحائرة.

إحساس بالوصول إلى الكمال

يحلق بالسماء الباهرة

العلا !شيء يملأ قلبي

ببهجة الكوثر والمني.

سماء باهرة وقلوب حزينة

من كثرة البكاء على العلا.

وكون غريب ملئ بالرواسي التي

تحطم كل من يريد التحليق إلى العلا.

العلا !أتدرون ما العلا؟!

شعور غريب يطمئن كل النفوس الحائرة.

إنسان يرفرف رفعة بسمو

من سبقوه إلى العلا.

طفل بريء يحلق كالبلبل

في السماء يغرد بفرحة العلا.

يا ليتني أجد السبيل

للوصول إليك يا علا

العلا !أتدرون ما العلا؟!

شعور غريب يطمئن كل النفوس الحائرة"..

ثم سمعها فارس، وأراد أن يخرجها مما هي فيه، فقال مداعبًا:

ألا يكفيك فارس يا أم شادية؟!

فابتسمت سما بمجرد رؤيته وقالت:

أحبك يا أجمل من رأت عيني، فأنت تعويض الله لي يا أبا" شادية"، أدامك الله في حياتنا..

فقال مبتسمًا:

وأنا أحبك .. فأنت نعمة أحمد الله عليها في كل حين، لا حرمني الله منك طوال عمري..

ثم نظر كلًّا منهما إلى ابنتيهما" شادية"وابتسم لرؤيتها فقالت سما:

إن اطال الله عمري لن أحرمها من التعليم .. أتمنى أن أراها مثل ابنة عمتي قوية وشجاعة، ومصرة على تذليل كل العقبات للتحليق بأحلامها.

فقال فارس مبتسمًا:

إن شاء الرحمن لن نحرمها من شيء أبدًا..

******

نجحت شادية في السنة الثانية لها بالكلية، وكانت الأولى على زملائها، ففرحت الأم وجميع أفراد العائلة فرحًا شديدًا، وأحسوا بأن روح والدهم ترفرف فرحة بنجاح ابنته من حولهم.

وتذكرت شادية كل كلمات أبيها فقالت:

عاهدتك يا أبي على أن أكمل الطريق، وأذلل كل الصعاب وها أنا أسير في طريقي مثلما أردت وسأكمله لنهايته، ولن يقف في طريقي شيء.

علم أهل القرية بنجاح شادية، ففرح البعض، والبعض الآخر استهتر بنجاحها وقال:

ستنجح اليوم، وستفشل غدًا، حتى وإن واصلت النجاح، وحصلت على الشهادة العليا فماذا ستفعل؟؟ هل ستعمل بها؟؟ .. هيهات .. هيهات أن تكن امرأة عاملة فلن يسمح لها أحد بذلك..

فرحت جميع بنات القرية بنجاح شادية، وخاصة سما التي طارت فرحًا بنجاح صديقتها، فاتصلت بها لتهنئها وأوصتها فقالت:

أكملي مشوارك، ومشواري، ومشوار جميع بنات القرية، ولا تستسلمي مثلنا، فإنك إن واصلت بعزم واصرار ستصلين، وسيفتخر بك جميع أهل القرية؛ بل والعالم أجمع .. إياك أن تستسلمي..

فقالت لها شادية:

لا تقلقي ..لقد وعدت أبي يا ابنة الخال بأن أكمل المشوار وأغير هذه التقاليد الخاطئة، وأنت تعرفين بأنني أن وعدت أوفيت..

فقالت سما مبتسمة: أعرف ذلك جيدًا .. أكرمك الله بتحقيق كل ما تمنيت وجعل تغيير القرية على يديك، وأطال الله في عمري حتى أراك في أعلى المناصب.

فشكرتها شادية، وأوصتها بأن لا تحرم ابنتها من التعليم مثلما يفعل أهل القرية، فقالت لها سما مداعبة: أسميتها شادية لتكن مثلك في كل شيء، وتسير على نهجك يا صديقة العمر.

تهللت أسارير شادية فرحًا بما سمعته من ابنة خالها، وحمدت الله على هذه المحبة بينهما وتمنت أن تكمل ابنة" سما"مشوار والدتها التي أجبرت على عدم اكتماله.

أيقنت شادية بأن مشوارها قد بدأ، وعليها أن تخطو الخطوة الأولى لتغيير قريتها، فاتصلت بمدام أمل التي كانت قد تعرفت عليها في إحدى الندوات التي تطالب بحقوق المرأة.

فدار حوار طويل بين المدام وشادية، اتفقا فيه أن يحاولا إقناع أهل القرية بإكمال تعليم بناتهم، وفتح فصل محو أمية لتعليم بنات، ونساء القرية غير المتعلمات وعمل ندوات لتوعية أهل القرية وحددا كافة المخاطر بوضوح التي سيتعرضون لها، والنتيجة التي يرغبون في الوصول إليها.

في بداية الأمر اعترض أهل شادية على ما عزمت عليه هي والمدام، ولكنهم وافقوا على طلبها حينما رأوا الإصرار والعزيمة في الاثنين.

خصصت شادية غرفتها لفتح فصل محو أمية للبنات، والنساء بها، ووزعت إعلانات على جميع أهل القرية، ثم ذهبت هي والمدام إلى جميع المدارس الموجودة بالقرية لمساعدتها في ما عزم عليه، ولكن جميع

المدرسين والمديرين رفضوا مساعدتهن رغم رغبتهم الشديدة في تغيير هذه العادات وحذراهما من عواقب ما ينويان عليه، ولكنهما صمما على التنفيذ.

ذهبت كل منهما إلى جميع بيوت أهل القرية، وحاولا إقناعهما بإكمال تعليم بناتهم، واستعرضا أهمية التعليم للبنات، وعرضًا قصص لشخصيات من النساء أكملت تعليمها، فاستطاعت أن تبني مجتمعًا وأسرة ناجحة، ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل؛ بل إن البعض سبَّهما سبابًا لاذعًا، وطردهما من بيته.

منع أهل القرية بناتهم ونساءهم من الذهاب إلى الفصل الذي كان قد فتحته الاثنتين؛ خوفًا من أن يتأثرن بكلامهن، ويتمردن على آبائهن وأزواجهن.

علم" حمزة"خال شادية بما فعلته ابنة أخته فذهب إليها وقال لها مهددًا:

إن لم تكفِّي عما تفعلينه، فوالله ستكن نهايتك على يدي .. أي تعليم هذا الذي تريدين أن تكمله بنات القرية؟!

ثم قال مستطردًا: إبعدي عن بنات أهل القرية، وخليك في تعليمك، ولو بيدي قسمًا بربي لمنعتك منه..

لم تتحدث شادية عند سماع هذه الكلمات، واكتفت بالنظر إليه، ولكن أحلام سمعت ما قاله أخوها لابنتها، فأتت مسرعة إليه، وقالت: ليس لك سلطة على ابنتي .. اتركها تفعل ما شاءت ..فما ذنبها إن أرادت إصلاحًا، وأنت وأهل القرية ذوو عقلية متحجرة، تأبى التعليم والتقدم.

فقال لها مشيرًا إلى ابنتها:

أتظنين أن ابنتك هذه هي من ستغير معتقداتنا ومعتقدات آبائنا؟؟

فقالت أحلام: نعم ستغيرها ذات يوم، وستعلم حينها أنت، وغيرك قيمتها، وستندمون على حرمان بناتكم من التعليم.

فقال ضاحكًا: سنندم؟ !بل أنت وابنتك من ستندمون.

ثم قال وهو مسرع للخروج من بيت أخته: حمد لله على عدم تعليم بناتي من البداية، وإلا كانتا كشادية يطالبونني الآن بتغيير معتقدات وتقاليد آبائي.

سمعت المدام ما قاله حمزة لابنة أخته فعرفت أن الأمر استحالة أن يتغير في الظروف الحالية، فعزمت على الرحيل إلى القاهرة، وعرض الأمر على رئيس الجهة التي تعمل بها وطلب المساعدة منه فوافقت شادية على قرارها.

******

علم أسامة بما فعلته" شادية"فازداد تعلقًا بها، وقال لخلود للمرة الأولى

: أخبريها بأنني أعشقها، وسأظل أعشقها طوال حياتي، وبأنني فخور بحبي لها وسأفعل المستحيل للوصول إليها مهما كلفني ذلك من عناء، وسأساندها طوال عمري.

فقالت له خلود:

لا أستطيع أن أقول لها هذا، فقد أخبرتك بأنها تحبك، ونقضت عهدي لها من أجلك، ولكنها لا تعلم بحبك لها، ولا أريدها أن تعلم لأنك بذلك ستعطيها أملًا ضائعًا، وستزيد مشاكلها وهمومها، فمن الأفضل لكما أن ينسى كلا منكم الآخر.

فقال لها أسامة متحديًا: أريدها أن تعرف، وأقسم لك بأنني لن أتخلى عنها أبدًا، وسأكسر كل القوانين، والعادات الخاطئة للوصول إليها، وسنتحدى العالم لنكن معًا إن وافقت..

فقالت خلود وهي محاولة الوقوف:

لقد أصابك الجنون أنت تعرف بأن عادات الهوارى لم ولن تتغير، فإن وافقتك على قولك هذا وساعدتك، أكون بهذا قد حكمت عليكما بالموت..

فقال لها أسامة متوسلًا: أرجوك يا أختي، فإن قلبي يكاد يتقطع من الداخل .. أخبريها بحبي..

فقالت له خلود :

أرجوك انسَها .. واجعلها تنساك، فهذا راحة لك ولها ..

فقال لها: لن أنساها، وإن لم تخبريها، فسأتصل بها، وأخبرها أنني أعشقها مثلما هي تعشقني؛ بل وأكثر منها، وسأضحي بكل شيء من أجلها، فأن قبلت حبي وساعدتني سنكسر كل قيود العالم، لنكن معًا

وسنتزوج رغم أنف الجميع .. وإن رفضت حبي، وقالت مثلك، فسأقتل نفسي حينها ليرتاح قلبي ..

فقالت له :

سأخبرها .. سأخبرها، ولكن لا تقل هذا لأحدٍ الآن على الأقل..

فقال لها : أدامك الله أختًا ورفيقة لي ولها طوال عمرنا..

فقالت له بابتسامة مطمئنة:

سأدعو الله لكما بأن ينتصر حبكم، وتتجمعان في حلاله..

******

مر شهر على سفر المدام" أمل"دون أي اتصال منها ولا جواب، فانزعجت شادية لذلك كثيرًا، وأحست بأنها قد تركت الموضوع جانبًا، فحاولت الاتصال بها لمرات عدة ولكنها لم ترد عليها.

وبينما شادية على هذا الحال، دق جرس الهاتف فنظرت في هاتفها، فوجدتها صديقتها خلود ففرحت فرحًا شديدًا وردت :

خلود .. أخبارك يا غالية؟

فردت خلود مداعبة كعادتها: الحمد لله .. وأنتِ شو أخبارك؟

فقالت شادية ضاحكة: الحمد لله .. لسه كعادتك بتسمعي المسلسلات التركي، والهندي..

فقالت خلود:

وإحنا نقدر نستغنى عنها، دي بتجري في دمنا كالوريد..

فقالت شادية بحنان: وما أخبار أسامة؟

فضحكت خلود وقالت: بيسلم عليك يا أختي..

ثم استطردت قائلة: لسه بتحبيه؟ ولا ناس القاهرة نسوك إياه..

فقالت شادية : والله ما عشق القلب، ولن يعشق أحد غيره فهو حبي الأول والأخير ..

فردت خلود بجدية : أريد أن اعترف لك بشيء لم أستطع قوله من قبل، وأرجوك لا تلوميني، ولا تزعلي مني..

فقالت شادية بصوت جاد: أنا لا أستطيع أن ألومك على أي شيء، فأنتِ رفيقتي وأخت حبيب قلبي..

فقالت خلود : أسامة يعشقك مثلما تعشقينه؛ بل وأكثر منك، وقد طلب مني قول ذلك لك، فإن وافقتِ على حبه وساندته سيتحدى المستحيل لتجتمعا..

ثم قالت مستطردة: لا تغضبي مني، فقد نقضت عهدك ليرتاح قلبه، وأخبرته بأنك تحبينه منذ زمن، ولكن قلبه لم يرتح يومًا، ولم يفكر في غيرك ولو لثانية..

سكتت شادية ثم قالت: أعرف جيدًا بحبه لي، وأدعو الله دومًا أن يكتب لنا اللقاء..

فقالت خلود مستغربة: من أين تعلمين بحبه؟؟

فقالت شادية: أحسست بذلك من نظراته، وخوفه علي، وما خاب إحساسي يومًا..

فقالت خلود مستفهمة: وماذا ستفعلون إذا؟؟

فقالت شادية: لا أدري يا خلود، ولكن علينا أن ننتظر إلى أن يكتب الله لنا اللقاء، وننتظر حتى نستطع أن نحدث التغيير بهذه القرية

فقالت خلود : وفقكم الله يا صديقتي، وجمع بينكم في حلاله..

******

علم أسامة بما قالته شادية، فطار قلبه فرحًا، وسجد لله شكرًا على أنه زرع حبه في قلبها وحبها في قلبه ثم دعا الله أن يجمع بينهما في حلاله.

فتح أسامة الأجندة المخصصة لشادية، والتي لم يريها لأحد من قبل فكتب:

"أي شيء أهديه إليك يا ملاكي

فكل ما أهديه إليك قليل..

أي سحر هذا الذي سحرني

وزاد قلبي أشواق وأحلام..

تختلفين عن كل بنات عصرك

وتملئين الأجواء بالألحان..

بسمة، وهمسة، ونظرة منك

كفيلة بسحر يدوم على مر الزمان..

لا أريدك جارية تطبخين

وتمسحين وتسهرين لإرضائي..

بل أريدك ملاكي وعشقي

وحبيبتي وأم لأطفالي..

فهل تقبلين يا سيدتي

بمشاركتي أحلامي؟؟"..

جاءت خلود فوجدت أسامة على هذه الحالة، فأرادت أن ترى ماذا كتب، ولكنه اعتذر لها قائلًا: لن تري كلماتي إلا شادية بعد أن يجمع الله بيننا في حلاله..

فردت خلود مداعبة كعادتها: يا بختها بيك..

فقال أسامة: يا بختي أنا بها وبحبها ..فهي نعمة أخاف أن تزول يومًا ما مني..

فقالت خلود: ولا تزعل يا عم .. يا بختكم أنتم الاثنين ببعض..

قالت خلود جملتها الأخيرة ثم رحلت وتركت أسامة لتخيلاته، وكتاباته.

******

مرت السنوات، وحصلت شادية على بكالوريوس الإعلام، وكانت الأولى على دفعتها كما أرادت من قبل، ففرحت فرحًا شديدًا، وفرح جميع أفراد عائلتها بهذا النجاح الباهر.

وبعد حصولها على البكالوريوس ذهبت إلى قبر أبيها، وأخذت تبكي وتقول:

ها أنا ذا يا أبي قد حققت أول أحلامي وأحلامك، وحصلت على ما أردنا وأعلم أن الطريق في بدايته، ولكنني عاهدتك من قبل أن أكمله إلى النهاية، فإما أن أصل، وإما أن أرقد بجوارك، ويكفيني شرف المحاولة .. كنت أرغب أن تشاركني فرحتي الآن، ولكنك تعلم بنجاحي وسعيد لأجلي .. اشتقت إليك كثيرا يا أبي..

في هذا اليوم أعدت الأم حفلة كبيرة للاحتفال بنجاح ابنتها، ولكن لم يأتِ غير عدد قليل من نساء القرية وبناتها.

كانت تعلم شادية بأن الطريق طويل، ولكنها أصرت على خوضه سواء ساعدها أحد أم لا، وقد ازدادت فرحًا حينما أتصلت بها بعض من صديقاتها، وقاموا بتهنئتها على نجاحها، وشجعوها على ما عزمت

عليه، وبعض من بنات القرية أرسلوا إليها، خطابًا لم يكتب عليه اسم فجاء فيه:

السلام عليكم

عزيزتنا شادية

نهنئك على نجاحك الباهر، ونرجو لك مزيد من النجاح، والتفوق، ونأمل أن لا تزعلي منا، فقد حرمنا من مشاركتك هذا النجاح، ولكن قلوبنا تدعوا لك قبل ألسنتنا، فأنت تعلمين أننا مسلوبو الحرية في كل شيء، حتى إننا الآن خائفون من أن ننجب بنات تعاني مثلنا، فأرجوك أكملي مشوارك، ومشوارنا، ومشوار جميع بنات، ونساء القرية واكسري القيود، فنحن نعلم أنك بنت قوية، وشجاعة ومفعمة بالحماس، وستصل لكل أحلامنا بإذن الله وستغيرين القرية بإرادتك، وعزيمتك التي تأبى أن تكل، ونرجو أن يطيل الله في أعمارنا حتى نرى هذا التغيير على يديك.

إمضاء

بنات القرية

أثرت هذه الكلمات في شادية تأثيرًا كبيرًا، وزادت من عزيمتها على إحداث التغيير، ولكنها انتظرت جواب التعيين في الكلية لكي يساعدها على تسهيل مهمتها..

******

"لقد حصلتَ على بكالوريوس التجارة كما أردتَ، فما يمنعك إذا من الزواج، فأنا رأيت بنت من سادة هوارى جمالًا وخلقًا ونسبًا، وسمعةً وأهلًا لا تقارن وأريدك أن تتزوجها."

كان هذا صوت أم أسامة، وهما على طاولة العشاء وهي تنظر إلى ابنها الذي لزم الصمت.

ثم استطردت الأم قائلة: لما لا ترد عليَّ.. هل وقعت على سمعك أم فمك؟؟

فقال أسامة: لا أريد أن أتزوج حاليًّا يا أمي..

فقالت الأم : ولما لا تريد أن تتزوج، ألا تزال تتذكر تلك البنت التي تُدعى شادية؟؟

فسكت أسامة حينها وقال: اتركي أمري يا أمي أرجوك ..

فقالت الأم : أريد أن أرى أحفادي قبل أن أموت وهذا حقي عليك .

فقال الابن: سترينهم بإذن الله، ولكن ليس حاليًّا..

فقالت الأم مستفهمة: أخبرني يا أسامة ألا تزال تتذكرها؟

فقال أسامة بصدق: نعم يا أمي لم، ولن أنساها طوال عمري، ولن أتزوج غيرها..

فقالت الأم: لن أتركك تدمر حياتك فلن أسمح لك بالزواج منها ..ألا ترى الفارق بيننا، وبينهم هم عرب ونحن هوارى؟؟

فقال الأبن: هذا الفارق وضعتموه أنتم وآباؤكم، ولكن لا فرق بيننا فكلنا بشر، ولنا الحق باختيار ما أردنا..

فقالت الأم وهي تقترب من ابنها:

لن أسمح لك بالزواج منها يا أسامة، وتدمير هذه العائلة ..أتريد أن تفضحنا وتدمر سمعة هذه العائلة؟

فقال الابن متحديًا: سأتزوجها يا أمي .. سأتزوجها، ولن أتزوج غيرها..

فضربت الأم ابنها بكف ثم قالت: لن تتزوج من غير هوارى وألا فإننا سنتبرأ منك..

ثم ذهبت الأم غاضبة، وتركت أسامة حائرًا بين عقله، وقلبه فقال بتحدِ: سأتزوجها مهما كلفني ذلك..

******

اتصلت نيرمين بشادية، وأخبرتها بأنه تم تعيين ابن عميد الكلية معيدًا مكانها، فحزنت شادية حزنًا شديدًا، وأحست بظلمٍ لم تشعر به من قبل، فعزمت على عدم ترك حقها، ثم ذهبت إلى أمها وأخبرتها بما حدث، وأنها تريد أن تسافر إلى القاهرة، فمنعتها الأم قائلة:

يا حبيبتي لا تذهبي وكفاية كده .. أترك كل شيء وعيشي حياتك وتزوجي أريد أن أرى أحفادي منك ولا تجلبي المشاكل لنفسك، فالبلد كلها ظالمة وليست قريتك فقط، فلن تستطيعي تغيير ذلك، فاترك التغيير لله.

فقالت شادية مستغربة:

أنت من تقولين ذلك يا أمي؟

فقالت الأم :

نعم.. أريدك أن تتركي المشقة، والعناء، وتفرحي مثلما تفرح البنات .. ألا يكفيك كل ما حدث لك بسبب التعليم وتلك الأحلام؟

فقالت شادية: لن أترك الأمر يا أمي فأنا عاهدت أبي كما تعلمين أن أكمل المشوار، ولن أستسلم مهما حدث..

فقالت الأم متوسلة ابنتها: لن يتركك أحد من أهل القرية أو من غيرها تفعلي هذا .. صدقيني يا حبيبتي عيشي حياتك، وتزوجي قبل أن تكبرين، وتصبحين عانس ووقتها تندمين..

فقالت شادية: لا يا أمي لن أتركه..

ثم استطردت متوسلة أمها: أرجوك يا أمي قفي بجواري لأحقق أحلامي، وأحلام أبي .. أحلفك بمنزلة أبي عندك قفي بجانبي ولا تتركيني أنهي ما بدأته..

قالت الأم وعيناها تذرف بالدموع: صدقيني يا حبيبتي أن سمحت لك بذلك لن يتركك أحد وسيدمرون حياتك..

فقالت شادية متحدية: ليس لأحد سلطة على يا أمي، فما دمتِ معي لن يستطيع أحد أن يدمر حياتي..

تأثرت الأم بكلام ابنتها فحضنتها وقالت لها:

سأكون معك طوال عمري يا حبيبة قلبي..

******

سافرت شادية إلى القاهرة، وذهبت إلى عميد الكلية، ولكنه رفض مقابلتها فهو يعلم ما جاءت من أجله، فحزنت حزنًا شديدًا، وأحست بأن كل الأبواب أقفلت في وجهها، فتجولت في شوارع القاهرة لعلها تجد نجأة لما يضيق في صدرها.

وبينما هي تمشي في أحد شوارع القاهرة المعمورة اشترت جريدة الاهرام، فوجدت في الجزء المخصص بالوظائف بها:

"مطلوب مذيعة، ومقدمة لبرنامج يومي حاصلة على بكالوريوس إعلام، الشروط: لا يشترط الخبرة - طموحة، وحسنة المظهر - حجاب أو بدون حجاب - الجدية والالتزام - الاستعداد للتعلم والتطور - ألا يزيد سن المتقدمة عن 28 سنة - اللباقة.

- يتم التقدم لهذه الوظيفة من ..../ 7/ 1 إلى .... / 8/ 1 ويتم إجراء مقابلات شخصية للمتقدمين في القاهرة"

قرأت شادية هذا الخبر، فأحست بأن الله بعث إليها رسالة بإكمال المشوار، وعلامة على أنها ستستطيع تحقيق كل أحلامها، فاتصلت بأمها على الفور وأخبرتها، ولكن الأم اعترضت وقالت لها:

مذيعة !!تريدين أن تفضحينا، لا تفعلي هذا يا شادية..

فقالت شادية: فضيحة .. أي فضيحة تلك يا أمي؟ !أريد أن أصبح مذيعة لتغيير بلدي..

فقالت الأم: يا بنتي أرجوك انسي هذا الموضوع نهائيًّا..

فقالت شادية بتحدٍ بالغ تفهمه أمها:

لن اتركه يا أمي إلا بعدما ينتهي عمري..

فقالت الأم بحنان: لا تقولي هذا ثانية..

فقالت شادية متوسلة أمها أن توافق: أرجوك يا أمي وافقي هذه فرصة العمر لي..

فردت الأم: سأعرض الأمر على أخوتك وسأرد عليك في مساء اليوم..

فقالت شادية : شكرا يا أمي .. أدامك الله نعمة في حياتي..

فقالت الأم بحنان: خلي بالك على نفسك، وكل، واشربي، وافرحي، ولا تقلقي من شيء، وبإذن الله خير..

فردت شادية بابتسامة: حاضر يا أجمل أم في الدنيا كلها..

*****

"أيه اللي أنت بتقوليه يا أمي ده تبقي مذيعه أيه، وكلام فاضي هي عايزة تفضحنا؟؟.. بنتك خلاص أتجننت".

كان هذا صوت فاروق الذي اهتزت له الجدران حينما أبلغته الأم بما تنوي عليه شادية.

فقالت الأم مذكرة إياه بوصية والده:

أتعرف أن هذا حلم أبيك قبل أن يكن حلم شادية، ووصيته إلينا، فهو كان يرغب أن تكن مذيعة مشهورة بجانب أن تصبح دكتورة بكلية الإعلام، ولذلك الحقها بكلية الإعلام..

فرد فاروق: ولكن يا أمي والدي قد مات، وهي أكملت كليتها بتفوق فكفاية عليها كده..

فقالت الأم: لا يا بني فعلينا أن نحقق وصية والدك بعد مماته ولا ننقضها..

فقال فاروق: صدقيني يا أمي مهما تعلمت واشتغلت فمصيرها أن تتزوج، ويمنعها زوجها من كل هذا فأهل القرية لديهم حق..

فقالت الأم: رجعت تفكر بعقلية أهل القرية..

فقال الابن: لا يا أمي فهذه الحقيقة..

فقالت الأم بجدية:

هذه ليست الحقيقة، ولكن الحقيقة بأن المرأة تستطيع أن تفعل كل ما أرادت، فهي ممكن أن تكون زوجة وأم وأخت وابنة وامرأة متعلمة، وعاملة في نفس الوقت، وتنجح في ذلك..

فقال فاروق، وهو يسارع للخروج:

لا فائدة من الجدال معك أو مع ابنتك فلتفعلوا ما شئتم..

*****

اتصلت أحلام بابنتها، وأخبرتها بأنها قد وافقت على رغبتها، ودعت لها بأن تراها في أعلى المناصب، وتكن بداية مبشرة لتحقيق كل أحلامها.

ففرحت شادية بكلام والدتها، وجهزت نفسها جيدًا، وتدربت على تقديم البرامج، ودعت الله أن يوفقها في هذه المقابلة، فذهبت لتقديم أوراقها.

جاء اليوم المنتظر، وذهبت شادية إلى المقابلة الشخصية، وأسر منها جميع القائمين على المقابلة وأكدوا لها أنها ستصبح شيئًا كبيرًا، وأن عليها أن تنتظر نتيجة المسابقة بعد شهر.

مر هذا الشهر على شادية كأنه سنة ثم جاءها خطاب :

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد التحية : تم قبولكم كمذيعة في البرنامج اليومي" شباب اليوم" ونرجو لكم مزيد من التفوق والازدهار معنا.

إمضاء

.....

طار قلب شادية فرحًا بمجرد قراءة خطاب القبول، وأسرعت للاتصال بوالدتها، وأخبرتها بقبولها في البرنامج، وطلبت منها أن تدعو لها.

ثم تذكرت أسامة فاتصلت بخلود، وبلغتها وسألتها عن أخبار أسامة، فأخبرتها بأنه ترك القرية، وسافر الإسماعيلية للعمل بوظيفة محاسب في احدي الشركات الكبرى فازدادت فرحًا، ودعت له بالتوفيق...

******

علم بعض أهل القرية بما تنوي عليه شادية، وذهبوا إلى أهلها وحذروهم من عاقبة ما تنوي عليه ابنتهم، وإذا استمرت على ذلك سيخرجونهم من القرية، ويغتالون ابنتهم قبل الظهور على التلفاز، وجلب العار للقرية.

فذهب كامل إلى بيت أخته وقال لها:

اتركي هذه القرية، واجعلي ابنتك تحقق أحلامها، وأنا سأكون دعمًا لها، ولك طوال حياتي ولا تغلطي غلطتي، وتدمري أحلام ابنتك

مثلما فعلت من قبل، وأقسم لك بأن أهل هذه القرية سيأتي يومًا، ويطلبون فيه أن تعودي أنت، وعائلتك إلى هنا، وسيندمون على كل شيء فعلوه في حق ابنتك وحق بناتهم.

فقالت أحلام ،والدموع تذرف من عينيها:

ولكن يا أخي لا أريد أن أتركك، وأترك بيت زوجي، وبلدي لا أستطيع العيش بعيدًا فسأموت، وأحيا هنا..

فقال أخيها برفق:

ستعودين إلى هنا قريبًا مرفوعة الرأس أعاهدك بهذا..

فقالت أحلام: أين سنذهب؟!

فقال الأخ :سأدبر لكما مكانًا في القاهرة لتعيشي مع ابنتك إلى أن تكمل المشوار، وسأحميها وسأزوركما كل شهر ولا تخبرا أحد بمكانكم..

فقالت أحلام: لك ما شئت يا أخي..

فاتصل كامل على الفور بشادية، وبلغها بالأمر، وما ينويان عليه أهل القرية، فوافقت على العيش بالقاهرة هي وأمها، وأخوتها لفترة، وطمأنته بأنه لن يستطع أحد القرب منهما...

ولكن فاروق لم يوافق على ترك قريته، والذهاب معهما، وقال لأمه: أتريديني أن أترك قريتي لتحقيق أحلام ابنتك؟!

ثم استطرد قائلًا:

لقد حذرتك مما تفعله ابنتك كثيرًا، وهذا عاقبته فتحملاه، وأتركا بلدكم، وبلد آبائكم، أما انا فلن أتركها شئتم أم أبيتم..

فقال له كامل: هذه فترة مؤقتة يا بني إلى أن تصل أختك إلى ما تريد، وستعودا قريبًا إلى هنا مرفوعي الرأس..

رفض فاروق أن يستمع إلى كلام خاله، ووالدته وأصر على البقاء بالقرية، وتبرأ أمام القرية كلها من أخته، وعائلته.

******

علمت سما بما حدث لشادية، وعائلتها فحزنت حزنًا شديدًا وقالت لأبيها:

يا أبي لا تتركهم فهم بحاجة إليك الآن أكثر من أي وقت مضى..

فقال الأب:

لا تقلقي .. فلن أتركهم أبدًا مهما حدث، فإن كان فاروق قد تخلى عنهم، فأنا لن أتخلي عنهم، وسأساند شادية بكل ما استطعت، لعل الله يغفر لي ما بدر مني في حقهم، وحقك يا حبيبتي .. ولعلك أنت تسامحيني على حرمانك من أحلامك..

فقالت سما: لا تقل هذا يا أبي، فأنت لم تحرمني من شيء، ولكن الظروف كانت أقوى منك..

فقال الأب حزينًا: كان على أن أتصدى لأهل القرية مثلما فعل أحمد رحمة الله عليه..

فقالت سما بحنان: ما حدث قد حدث يا أبي .. دعنا ننسى الماضي وسأعوض أحلامي في حفيدتك شادية فبإذن الله لن نحرمها من تعليمها وأحلامها أبدًا..

فقال كامل، وهو يمسك بحفيدته:

إن أطال الله في عمري، فلن أجعل أحد يحرمها من أحلامها، وسأجعلها تنجح مثلما نجحت ابنة أختي، وصديقتك..

فقالت سما :

ربنا يديك الصحة والعافية وترى أحفادها يا أبي..

فقال الأب:

ويطول في عمرك يا حبيبتي، ويعوضك خير عن كل أحلامك التي سلبت منك من قبل..

ثم نظر إلى الصغيرة ووضع قبلة على جبينها فقال:

حفظك الله يا صغيرتي، وجعلك ذرية صالحة لآبائك، وناضجة، ومحققة جميع أحلامك..

تركت سما ابنتها مع جدها الذي انشغل بملاعبتها، وذهبت لإحضار العشاء مع والدتها..

*****

سافرت عائلة شادية ماعدا فاروق إلى القاهرة، وأقاما في شقة كان قد دبرها لهما كامل، وطلبا من شادية أن تترك سكنها وتأتي للعيش معهما فوافقت على الفور..

ذهبت شادية إلى الاستديو لأول مرة في حياتها؛ حيث الأجواء والتصوير وفريق الإعداد والكاميرا، وأشياء لم ترها من قبل، ففي البداية خافت من رهبة الاستديو، ومواجهة الجمهور، ثم تذكرت كلمات أبيها حينما قالت له ذات يوم بأنها لن تستطيع مواجهة الجمهور وامتلاك الاستديو في حوارها إذا التحقت كلية الإعلام بسبب خجلها الزائد فقال لها وقتها مشجعًا:

أنت فتاة قوية وقادرة على فعل المستحيل فلا تخجلي من شيء، ولا تتركي الأعذار والخجل يعطلانك عن تحقيق أحلامك، فقبل أن تقدمي على شيء استعيني بالله ثم تنفسي بعمق، وخذي زفير، وشهيق لعدة مرات وقولي:

"اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقه قولي..."

وبعد أن تذكرت هذه الكلمات خانتها دمعة كانت قد نزلت على جبينها فمسحتها ثم ازدادت قوة، وصورت أول حلقة لها في برنامج "شباب اليوم"تناولت فيها تعريف نفسها، وذكرت اسم بلدها بفخر شديد، وحبها لها ثم عرضت بعض من مشاكل الشباب الحالية.

تلقت شادية عددًا كبيرًا من التعليقات على حلقتها الأولى بالبرنامج بالسلب والإيجاب، ولكن عدد المعجبين بحلقتها كان ضعف عدد غير المعجبين بها، وجاءتها مجموعة من المشاكلات على مواقع التواصل الاجتماعي التي تواجه الشباب، وكلهم يطالبونها بعرض هذه المشاكل في برنامجها، والعمل عل تقديم حلول لها كأنها منذ أول ظهورها تحولت إلى مصلحة اجتماعية.

حاولت شادية في كل حلقة من حلقاتها تقديم حلول للمشاكل التي تأتي إليها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، واستضافة أشخاص مهمة في البلد، والتحدث بوضوح عن التحديات التي تواجه الشباب، وشاركت من خلال البرنامج في تقديم العديد من فرص العمل للشباب وإنشاء العديد من المستشفيات، وتقديم الدعم

للأطفال اليتامى والذين ليس لهم مأوى، وتسليط الضوء على أهم القضايا المعاصرة في مصر وإنشاء العديد من المدارس في بعض المناطق، فنجح برنامجها نجاحًا باهرًا، ليس هذا فحسب بل إنه كاد يسمع في جميع بلاد العالم، وأرادت أن تطالب الوزير في برنامجها بإنشاء مدارس في قريتها والاهتمام بها، ولكن أمها رفضت ذلك، وقالت لها :

أنت في بداية مشوارك فعمري القاهرة وشوارعها أولا، لكي تصل إلى مركز مرموق تستطيعين من خلاله أن تعمري قريتنا، فلا تتسرعي...

ما كان على شادية إلا أن تلبي طلب والدتها، فهي تعلم جيدًا أنها مازالت في بداية مشوارها، وأي تسرع سوف يقضي عليها، فأجلت موضوع قريتها إلا أن يشاء الله بتنفيذه.

******

علم أسامة بما وصلت له شادية ففرح كثيرًا، وانتظر كل يوم بفارغ الصبر برنامجها ليراها كعادتها مفعمة بالحماس، وجريئة في حوارها، فيزداد قلبه سرورًا، وبرغم بعده عنه إلا أن حبها يزداد يومًا بعد يوم في قلبه وتزداد رغبته بالزواج منها، ولكنه انتظر إلى أن يكن جديرًا بها.

اتصل أسامة للمرة الأولى بها، وقال لها حينما سألته" من أنت"؟

أنا عاشق تقطعت به كل الدروب، وتاه في بحور الدنيا، يغني بحبك، وقلبه لم ولن ينبض لأحد غيرك..

فقالت له بصوت يملؤه السرور: أسامة!!

فقال بسرور: نعم، إنني هو..

ثم أكمل مستطردًا:

أتصلت بك لأهنئك بنجاحك العظيم وبفرحتي الشديدة بك..

فقالت: الله يبارك فيك..

لم يستطع كلًّا منهما أن يقول شيئًا بعدها، فأنهى الاتصال بينهما، وكلٌّ منهما يطير من الفرح بهذه الكلمات القليلة، وقلبهم يدعو أن يجتمعا في حلال الله قبل ألسنتهما.

لاحظت أحلام فرحة ابنتها الشديدة بعد هذه المكالمة، فسألتها عن المتصل فقالت لها شادية بأنه من فريق الإعداد بالاستديو..

******

في أحد اللقاءات التليفزيونية التي استضيفت بها شادية، سألتها المذيعة عن سبب تمسكها الشديد بالمطالبة بحقوق المرأة، فقالت لها شادية بنبرة حزينة: لأنني عانيت كثيرًا في قريتي من رؤيتي للمرأة بها تُحرم من أدنى حقوقها..

فقالت لها المذيعة: ما الحقوق التي سلبت من المرأة في قريتك؟

فقالت شادية: حرمانها من التعليم، وزواجها قبل بلوغها سن الزواج وحرمانها من تحقيق أحلامها.

ثم استطردت شادية متسائلة الجمهور، والدموع قد تقطرت من عينيها: هل نحن فعلا عار كما يزعمون؟ !خلقنا لنتزوج، وننجب الرجال وأحلامنا ليس لها وجود .. هل التعليم حرام على أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا .. هل هذا عدل أن تترك المرأة في البيت طوال عمرها،

ولا أحد يأبه لأمرها، فهي تعمل كترس في آلة طوال اليوم، ولا تلقي أي كلمة مدح أو شكر على جهدها .. هل المرأة خلقت فقط لتعطي؟ ! هل هذا هو العدل في مجتمعاتنا؟؟!!

ثم استطردت مخاطبة رجال قريتها:

أجيبوا أيها الرجال .. هل هذا هو العدل في نظركم؟ من قال لكم إننا خلقنا عبيدًا لنطبخ، ونغسل، ونتزوج، وننجب، ونموت ولا أحد يأبه لأمرنا؟ لقد كرمنا الله في كل الأديان، والعبادات، ووضع سورة كاملة للنساء في كتابه، وأوصى الرسول في سنته بأن تستوصوا بنا خيرًا، فهل نفذتم وصيته؟؟

ثم أكملت حديثها مخاطبةً الفتيات وخاصة من بنات قريتها، والدموع تتساقط من عينيها:

أيها الفتيات، والنساء أعرف حقًّا ما تمرون به، وأنكم مجبرون على الخضوع للرجال، ولكن عليكم أن تفعلوا شيئًا، ولا تستسلمن للأمر الواقع .. انهضوا واكسر كل القيود التي تعطلكن عن تحقيق أحلامكن،

واستعينوا بالله وحاولوا لمرات عديدة معهم، لتحصلوا على الاحترام، وجميع حقوقكن.

ثم خاطبت المسؤولين بمصر، وحثتهم على الاهتمام بحقوق المرأة بالصعيد، والمناطق العشوائية، وإقامة ورش، وندوات، ومؤتمرات لتوعيتها وإنشاء فصول محو أمية للنساء بهذه الأماكن، ومدارس ابتدائية، واعدادية، وثانوية مستقلة لها، وتوعية المجتمع بأثره بدورها الفعال في عجلة التقدم والازدهار بمصر.

******

سارت شادية حديث القرية الدائم، فلا يكاد يخلو مجلس لا يذكر فيه اسمها وبرامجها، وأعمالها، ولقاءاتها التليفزيونية، وخاصة اللقاء الأخير لها الذي تحدثت فيه عن حقوق المرأة فتأثر بعضهم بكلامها، وقالوا في قرارة أنفسهم دون أن يظهر ذلك لأحد من أهل القرية: أتمنى لو استطعت تعليم بناتي مثلها يومًا .. يشاهدها ملايين الناس، وتكون مثالًا لهذه القرية مثلها، ونموذجًا مشرفًا لنا جميعا .. وفقها الله فيما نوت عليه، ورسم النور والهدى لهذه القرية على يديها ..

أما البعض الآخر فقد نووا على الانتقام منها، حتى تكون عبرة لغيرها من بنات القرية..

وبالنسبة لنساء القرية، فقد فرحوا فرحًا شديدًا لرؤيتها بالتلفاز، وتمنوا لها المزيد من التقدم، وتمنوا أيضًا أن تتاح لهم الفرصة لتحقيق أحلام بناتهن ليكن مثل شادية يومًا ما..

وسارت بنات القرية الصغيرة يهللن باسمها في جميع طرقات القرية، ويدعون لها كما تمنوا أن يرووا أنفسهم مثلها..

أما فاروق أخو شادية فقد أسرع على الفور بالاتصال باخته، وهنأها على نجاحها الباهر، وعلى الأعمال الخيرية التي تفعلها، وطلب منها أن تسامحه على ما ارتكبه في حقها، ودعا لها بالتوفيق، والنصر ووعدها بأنه سيكون دائمًا بجوارها، وشجعها على إكمال الطريق، ووعد بزيارتهم يوم الخميس، وطلب منها أن تنتبه على نفسها وعائلتها وحذرها مما نوى عليه بعض من أهل القرية، فطمأنته أنه لن يستطيع أحد الاقتراب منها، ووعدته بأنها ستجهز له طعامه المفضل..

ذهب أهل القرية إلى فاروق، وسألوه عن مكان أخته فقال لهم :

لا أعلم شيئًا عنها منذ أن تبرأت منها..

فقالوا له مهددين: إن علمنا أنك تعرف مكانها وتخبئه عنا فو الله سنقتلها، وسنقتلك حينها..

فقال متوسلا إياهم: أرجوكم لا تقتلوها، وأنا سأقنعها بأن تنسى موضوع هذه القرية نهائيًّا..

فقالوا : سنقتلها حتى نمحي عارها، وتكن عبرة لغيرها من بنات القرية التي تفكر أن تسير مثلها..

فقال فاروق: وما ذنبها إن أرادت إصلاحًا..

فقالوا: إذا أنت تدافع عن أختك ومن المحتمل أيضًا أنك تعرف مكانها..

فقال : أنا لا أدافع عنها؛ بل أدافع عن الحق، وقد قلت لكم من قبل بأنني لا أعرف مكانها..

فقالوا وهم يشيرون إلى المسدس الذي بأيديهم:

لقد حذرناك وأنت حر..

ثم تركوا فاروق الذي امتلأ صدره حزنًا على أخته، وعلى بنات القرية، وأخذ يحدِّث نفسه مشيرًا إلى صورة أخته:

ما ذنبك في كل هذا العناء، وما ذنب هؤلاء البنات التي تحرم من الحصول على أدنى حقوقها .. ألا يوجد عدل في هذا العالم ينصف المرأة، ويعطيها حقوقها؟!!

ثم جاءت ابنته" منة" البالغة من العمر 4سنوات وقالت لأبيها:

أتبكي يا أبي؟!

فقال الأب وهو يحضن ابنته:

أبكي على قرية أهلها ظالمون؟ !!ستعرفين يا بنيتي لماذا كنت أبكِ اليوم حينما تكبرين، إذا نشأتِ في هذه القرية...

ثم قال مشيرًا إلى صورة أخته: أريدك أن تصبحي مثل عمتك حينما تكبرين، فإياك أن تستسلمي يومًا وسيري على نهجها..

فقالت الأبنة، وهي غير مدركة لما يعنيه والدها:

حاضر يا أبي .. متي سنزور عمتي؟

فقال لها وهو يقبلها: قريبًا يا حبيبتي..

سافر فاروق وعائلته إلى القاهرة يوم الخميس، فراقباه أهل القرية، وعرفا مكان شادية، وعائلتها فذهبوا إليها، وأخبروها أن تنسى قريتها نهائيًّا، ومن المستحسن أن يغيرا اسم قريتهم من بطاقتهم ولا يعودا أبدًا إلى هذه القرية، وأن يوقعا على جميع أملاكهم الموجودة بها..

حاول فاروق إقناعها، ولكنها أبت ذلك، فقالت لهم جميعا:

تريدونني أن أنسى قريتي لأنني أسعى لتحقيق أحلامي .. يا لهذا الظلم !!نحن في القرن الواحد العشرين، وأنتم مازلتم تفكرون بهذه الطريقة ..أهملتمونا وسكتنا .. وسلبتم حقوق بناتكم ونسائكم وجعلتموهم جواري لكم ولأولادكم؛ بل وسلبتم منهن احترامهن، وتستكثرون عليهن أن يأتي أحد ليتكلم باسمهن ويطالب بحقوقهن .. أتريدون قتلي لأنني أريد أن امنحهن الاحترام والتقدير؟؟!

ثم استطردت قائلة:

اقتلوني إذا شئتم، فلن أتنازل عن المطالبة بمنحهن هذا الاحترام طيلة عمري..

سمع أهل القرية هذا القول، فتأثروا به تأثرًا شديدًا، ولكن عقولهم المتحجرة، وقلوبهم المغلقة أبت ما قالته، فقالوا لها: للمرة الأخيرة نحذرك مما نويت عليه .. اترك هذا الأمر وإلا سنقتلك..

فقالت لهم: عقولكم تأبي أن تفهم ما أقوله .. إذا أردتم قتلي فأنني جاهزة، ولكن سأظل لآخر نفس بي مطالبة بأن تأخذ المرأة حقها في قريتي، وفي كل مكان، وعلى جميع العصور..

ثم قالت، وهي مبتسمة:صدقاني إن قتلتموني أم لا، فلن تستفيدوا شيئًا لأنني أعلم جيدًا بأنني إن مت أنا فستخرج شادية أخرى من قريتي تطالب بنفس الحقوق، فإن شئتم أم أبيتم سيأتي يومًا وما هو ببعيد ستتغير فيه قريتي، وستحصل المرأة على الاحترام وكل الحقوق..

لم ينتظر أهل القرية أن يسمعوا أي كلمة أخرى منها فأطلقوا النار عليها، ولكن فاروق تصدى لها فأصابته الرصاصة في قلبه، ومات وهو يقول:

سامحيني يا أختاه، وأكملي الطريق، وارفعي رأسك عالية شامخة، وغيري هذه العقول المريضة واكسري كل القيود، وامنحي هؤلاء

النساء الاحترام، والحقوق فأنهن بحاجة إليك ولن يستطيع أحد غيرك أن يمنحهن هذه الحقوق...

ثم لفظ جملته الأخيرة، وهو يقول:

استوصي بابنتي وأمها، وامنحيهم الاحترام والحقوق...

بعد هذه الكلمات ساد البكاء في جميع أنحاء بيت شادية للمرة الثانية، وهرب أهل القرية بعدما فعلوا جريمتهم...

فامتلأت الحشود في الجنازة بأشخاص له ثقل في مصر من وزراء، وإعلاميين ومسؤولين حقوق الإنسان، وغيرهم..

وانصرفوا وهم يقولون: لا تحزني فان الله معك، فأنتِ امرأة قوية ما خلقت لتبكي، وتحزن، وإنما خلقت لتكن مثالا لامرأة لم ولن تخلق بعد .. لا تجعلي ما حدث يوقفك عن إكمال مشوارك، وآداء رسالتك التي عرفها الجميع الآن..

ثم وعد هؤلاء الناس بمساعدتها في تغيير قريتها، وكل القرى المشابهة لها..

******

علم أسامة بما حدث لشادية، وأهلها فحزن حزنًا شديدًا، وسافر إلى القاهرة لا يلقي بالا لأي شيء سوى أنه يريد الاطمئنان على شادية، والوقوف إلى جوارها في هذه المحنة الصعبة ..وقال لها بمجرد رؤيتها:

البقاء لله .. لا تحزني فإن هذا دليلٌ على انتصارك..

فاكتفت شادية بالرد عليه بجملة واحدة: سبحان من له الدوام..

فقال لها مخففًا: إن الله قد اختارك لتغيير القرية، فلا تجعلي حزنك على أخيك يوقفك عن تأدية رسالتك بالحياة..

فقالت له : موت أخي قتل كل شيء داخلي..

فقال لها متوسلًا:

أرجوك بنات القرية في حاجة إليك الآن أكثر من أي وقت مضى، فهم في السابق أجبروا على سلب الاحترام والحقوق منهم، وهم خاضعون لعدم وجود أمل بداخلهم ولكنك زرعت الأمل بداخلهم ..فلمَ تريدين أن تسلب منهن هذا الأمل الآن؟!

فقالت، والدموع تذرف من عينيها:

وما ذنب ابنة أخي التي حرمت من أبيها؟!

فقال لها:

ذنبها أنها نشأت في قرية عقول أهلها متحجرة فكان عليها أن تضحي مثلك لتحصل على الاحترام، وجميع حقوقها..

ثم استطرد متوسلًا إياها بإكمال ما بدأته:

أرجوك لا تتركي أحلامهن وآمالهن تضيع..

فقالت وقلبها ينبض حزنًا:

تركت أمرهم لله يا أسامة فلا أستطع أن أكمل مشواري في بلد تأبى ذلك..

فقال لها: ماذا تقولين؟ !أنسيت عهد والدك بأن تغيري هذه القرية؟!

فقالت والدموع تزداد في عينيها:

لم أنسه يومًا، ولكن لا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا، فقد خسرت الكثير من إصراري على تحقيقه..

فقال لها : اعلم أنك خسرت الكثير، ولكن عليك تحقيق حلم والدك فلا تستسلمي..

فقالت، وهي تصرخ في وجهه: قلت لك لا أستطيع .. لا أستطيع

فقال لها:

أن ضعفت اليوم، فوالله سيضيع تعبك، وكل معاناتك السابقة، ولا تستحقي ما وصلت إليه أن استسلمت، وجعلت الحزن يكسرك وستموت آمال بنات، ونساء القرية للأبد..

فقالت له: صدقني لن تتغير هذه القرية إلى الأبد..

فقال لها متحديًا: ستتغير على يديك، وعلى أيدي شبابها أعاهدك بهذا..

فقالت له : أنت تحلم مثلما حلمت أنا من قبل، ولكن خسرت الآن الكثير..

فقال لها: لم أتعود على استسلامك من قبل، فلم تسمحين الآن لليأس أن يختلج أعماقك..

فقالت له: هذا ليس يأس، ولكنها الحقيقة التي لم أدركها غير اليوم..

فقال لها : إن لم تتركي هذا اليأس، وترجعي شادية التي عرفتها، وأحببتها فسأعتبرك مت..

فقالت له: من الأفضل لك، ولي أن أموت في نظرك، فلن يسمح لنا أحد بإكمال حبنا..

فقال لها، وهو يبكي:

أعاهدك بأننا سنجتمع في حلال الله، وسيكتمل حبنا، وسأقف بجانبك في كل خطواتك .. فلما كل هذا اليأس؟!

ثم استطرد، والدموع تزداد في عينيه:

أرجوك أكمل المشوار، وسأكون معك، وبجوارك دائمًا عاهديني بذلك..

فقالت له : أعاهدك أن أكمله..

ثم اقترب منها، ومسح بأيديه دموعها، ودموعه وقال:

هذه هي شادية التي أحببتها..

******

بعد أربعين فاروق، عزمت شادية على إكمال المسيرة فاتصلت على الفور بالقائمين على البرامج التي تقدمها، وأخبرتهم بأنها تريد أن تقدم برنامجًا جديدًا مستقلًا للمطالبة بحقوق المرأة في الصعيد فوافقا..

ذهبت شادية للاستديو، فشعرت وكأنها للمرة الأولى تدخله، وأعدت حلقتها الأولى من برنامج اسمته" بنات القرية"وقالت في أول حلقاتها بعد أن حييت جمهورها:

- سأحدثكم اليوم عن بنات قريتي اللاتي سلبن من حريتهن؛ بل وسلبن الاحترام .. المرأة بمجرد أن تأتي يعتبرها آباؤها عار على المجتمع، فيربوها كأنها كمالة للعدد أو لتنجب الرجال؛ بل وربما يقتلونها كما كانت تفعل قريش..

نحن في القرن الواحد والعشرين، ومازلنا نفكر بهذه الطريقة، والعقلية المتحجرة التي تحرم النساء من أدنى حقوقهن، وتقتل أحلامهن، وهم صغار؛ بل وربما يوهمونهم أنهن ما خلقن إلا ليكن جوارٍ عند آبائهن وأزواجهن، وربما عند أبنائهن .. يحرمن من التعليم، واختيار شريك الحياة، ويزوجوهن صغار ويعملون في بيوتهن كترس

في آلة بدون أدني تقدير .. يحجزون في البيوت من أول ما تظهر عليهن معالم الأنوثة، وربما تظهر وهما صغار فيحرمونهن من اللعب والفسح وكل شيء مباح لبنات المدن والأولاد، تسلب منهن الحرية بكل معانيها وهم أطفال، ولا يهتم لأمرهن أحد لا الرؤساء ولا الوزراء ولا المسؤولين عن حقوق المرأة ولا الآباء؛ بل يولدن ويموتن دون أن يشعر بهم أحد وكل ذنبهن أنهم خلقوا في الصعيد..

ثم وجهت حديثها للرجال في القرى:

- هل هذا هو العدل رجال القرى؟ !أن تحرموا نساءكم من الاحترام، والتقدير، وجميع حقوقهن، وتقيموا الحد على كل من يريد مساعدتهن .. هل هذا هو العدل في نظركم؟ !هل نفذتم وصية الرسول، واستوصيتم بنا خيرًا؟ !لا أيها الرجال بالقرى لم تنفذوا العهد بعد، أطالبكم أيها الرجال من يعيشون في القرى، وجميع الأماكن أن تعطوا حقوق النساء، وأن تقفوا بجوارهن لتحقيق أحلامهن، فهن بحاجة إليكم لا بحاجة إلى غيركم .. علموهن ليشاركن في تقدم بلدهن فمصر بحاجة

إليهن أيضًا مثلما هي في حاجة إليكم .. علموهن منذ الصغر حب بلدهن، وأن العنوسة لا وجود لها..

ثم أنهت حلقتها مطالبة المسؤولين عن القرى ومحافظيها بالاهتمام بإنشاء مدارس للبنات، وإنشاء ندوات توعية بها، وفصول محو الأمية للنساء غير المتعلمات، وإصدار قوانين رادعة للآباء الذين يحرمون بناتهم من التعليم..

******

سمعت سما برنامج شادية فقالت، وهي تبكي:

- ما زلت ترغبين في منحنا الاحترام، ونحن لم نعطيك شيئًا يا ابنة العمة إلى الآن؛ بل إن أهل قريتنا زرعوا في قلبك الأوجاع ..يا لك من امرأة تأبى الخضوع، وجديرة بمنحها كل الاحترام؟!

ثم جاء فارس وقال : أرأيت شادية في البرنامج؟

قالت وهي تهز رأسها: نعم رأيتها، وهي تطالب بحقوقنا، ونحن مازلنا معشر النساء خاضعون .. فعلت الكثير من أجلنا، ولكننا لم نفعل أي شيء من أجلها..

فقال فارس مستفهمًا: وما بأيديكم أن تفعلوا؟

فقالت سما: بأيدينا أن نمحو الظلم عنا، ونساندها يا فارس..

فقال: لن يسمح لكم أحد بذلك فاهدئي يا سما، فإن لنا ابنة نريد أن نربيها معًا، فلا تتهوري..

فقالت : أن سكتنا عن الظلم أكثر من هذا، فلن تستطيع شادية وحدها أن تغير هذه القرية، فعلينا مساندتها لتحصل ابنتنا على الاحترام، وجميع الحقوق..

ثم أخذت هاتف زوجها، واتصلت على الفور بشادية، وقالت لها بعد أن سألتها عن أخبارها وأخبار عائلتها: نريد أنا وفارس أن نساندك، ونقف إلى جوارك لتكملي المشوار..

فقالت شادية كأنها تريد التأكد مما سمعته من صديقتها:

- حقًّا يا سما أتريدون مساعدتي..

فقالت لها سما:

- حقا يا ابنة العمة، وسأجعل كل بنات القرية بإذن الله تساندك، وستعودين قريب إلى قريتك التي أجبرت أنت وأهلك على الرحيل منها..

ففرحت شادية بما قالته سما لها وأدركت أن كلامها أُثر في صديقتها تأثيرًا إيجابيًّا، ودعت الله بأن يأتي اليوم الذي ترى فيه بنات القرية آخذين كل الاحترام والتقدير ومحققين كل أحلامهن .. ثم كتبت في ورقة وألصقتها على جدران غرفتها:

"سيتحقق حلمي وحلمك يا أبي عن قريب"

******

جمعت سما جميع بنات، ونساء القرية وأخبرتهم بما نوت عليه، وقالت لهم مشجعة إياهن على الانضمام إلى شادية:

- علينا أن نكون يدًا واحدة، وننضم إلى شادية التي مازالت تطالب بإعطائنا الاحترام والحقوق، رغم كل ما تعرضت له ..

يجب ألا نأبه لشيء غير تغيير هذه القرية التي يأبى أهلها التغيير، وأن نكن مثلها شجعانا ومصرين على التغيير..

فقالت إحدى نساء القرية: وما بأيدينا أن نفعل؟

قالت سما: بأيدينا أن نفعل الكثير، فعلى الأقل علينا مساندتها، والوقوف أمام آبائنا، وأزواجنا وأبنائنا، ونجبرهم على تغيير أفكارهم؛ بل ونجبرهم أيضًا على احترامنا، وإعطائنا كل الحقوق، ونجبرهم أيضًا على السماح لعائلة شادية بالرجوع..

فقالت إحدى بنات القرية: والله لن يتركنا أحد نفعل ذلك يا أم شادية، وأنت تعلمين ما تعرضت له شادية فهي تحملت أما نحن لن نستطيع أن نتحمل مثلها..

فقالت سما : اعلم جيدًا ما تعرضت له فقد قدمت لنا الكثير، ونحن لم نقدم لها إلى الآن أي شيء؛ بل إننا لم نقدم لأنفسنا، وبناتنا أي شيء..

ثم استطردت قائلة : نحن قادرون مثلها أن نفعل ما فعلت؛ بل وأكثر منها أن اتحدنا، ووقفنا ضد الظلم..

فقالت أحدى بنات القرية التي خافت مما تنوي عليه سما:

- لا يا أم شادية نحن لا نستطيع أن نقف ضد آبائنا، وعائلاتنا..

فقاطعتها سما قائلة: بل نستطيع .. صدقوني باستطاعة المرأة العربية أن تفعل كل شيء للحصول على حقوقها .. ألم تسمعوا ما قالته شادية في برامجها، وتلك النساء الفضليات اللاتي غيرن العالم، واستطعن أن يحققن أحلامهن .. فنحن أيضًا مثلهن يمكننا أن نحارب للحصول على حقوقنا..

فقالت الفتاة نفسها: أنت تحلمين يا أم شادية فهذه القرية لن تتغير أبدًا، سواء شئنا أم أبينا..

فقالت سما: بل ستتغير..

ثم استعرضت سما بعض المهمات التي يجب عليهن القيام بها لإجبار أهل القرية على الانحناء لرغباتهم، وأخذت تحس فيهم روح الكفاح، وتذلل كل الصعاب أمامهن فتأثر جميع نساء، وبنات القرية بكلامها فبعضهم وافق على ما قالت، وعزموا على مساعدتها والبعض الأخر منهم لم يوافق لخوفه من عاقبة ذلك..

علم أهل القرية بما حدث في بيت سما، وما نوت عليه هي، وبعض نساء وبنات القرية فذهبوا إلى فارس، وهددوه أن لم تكف زوجته عن ما تفعل فإنهم سيقتلون ابنته شادية..

فذهب فارس على الفور إلى بيته، وحذَّر سما مما تفعل، وأخبرها بما قال له أهل القرية ولكن سما لم توافق في البداية فقال لها فارس:

- أن لم تترك هذا الأمر فسأطلقك وأخذ ابنتي، ونرحل بعيدًا..

فقالت له سما:

- أتريد أن تتركني، وتحرمني من ابنتي لأنني أطالب لي ولأبنتي، ولنساء وبنات القرية بالاحترام، والحصول على حقوقنا التي سلبتها منا هذه القرية..

فقال لها متوسلًا:

- اترك هذه الأفكار من مخيلتك يا حبيبتي، فصدقيني لن يتركنا أهل القرية نعش بسلام أن عزمت على ما تفعلي، وسيقتلون ابنتنا الوحيدة..

فقالت له: لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا فهما جاءوا لتهديدك؛ لأنهم خافوا منا..

فقال لها: أنسيت فاروق ابن عمتك الذي مات في عز شبابه بسبب أفكارها، ورغبتها في التغيير مثلك..

فقالت له: لم أنسه، ولكنها واصلت رغم كل الآمها، ومازالت تطالب بإعطائنا الحقوق والاحترام، ونحن لم نفعل من أجلها وأجلنا شيئًا إلى الآن، فعلينا أن نقف بجوارها يا فارس لتتغير هذه القرية..

فقال لها بعد أن يأس من إقناعها:

- قلت لك اترك هذا الأمر وإلا سأنسى حبنا وأطلقك...

قال فارس جملته الأخيرة وذهب إلى خارج المنزل، وترك سما لدموعها فاتصلت بصديقتها شادية التي قالت لها:

- لا تحزني يا عزيزتي فوالله سيأتي يومًا، وتتغير هذه القرية وأهل القرية هم من سيمنحونا الاحترام، والحقوق التي سلبوها منا، ولكن عليك الآن أن تتركي هذا الأمر، وتخبري الجميع بذلك حتى لا يحدث لك أو لعائلتك مكروه وأعاهدك أن أفعل

المستحيل لتغيير هذه القرية ولكن علينا أن نصبر إلى أن يأتي الوقت المناسب..

فقالت لها سما: ألم يأتِ الوقت المناسب إلى الآن يا شادية لقد تعبنا من أهل هذه القرية .. نحن لم نطالبهم بشيء إلا بإعطائنا الاحترام، والحقوق، وهم يأبون ذلك .. يا لهؤلاء القوم.!.

فقالت لها شادية : اصبري يا سما .. إلى أن يشاء الله لها بالتغيير..

بعد أن أنهت سما مكالمتها مع صديقتها أخبرت عائلتها، وأهل القرية بأنها تركت هذا الأمر، ولكن في قرارة نفسها لم تتركه واستمرت بالدعاء في كل ليلة بأن يحدث التغيير قريبا..

******

أتصل أسامة بوالدته، وأخبرها بأنه يريد التقدم لشادية، ولكنها رفضت تمامًا، وقالت له:

- إن فعلت هذا، فإني سأتبرأ منك ليوم الدين..

ولكن أسامة قال لها متوسلًا: أرجوك يا أمي اتركي هذه العقلية، وافهميني ولو لمرة واحدة فإني أحبها..

فقالت له: ستنساها يومًا، وسأزوجك بفتاة أفضل منها..

فقال لها: لم ولن أستطيع أن أنساها وسأتزوج منها فوافقي يا أمي

فقالت الأم متحدية : إذًا عليك أن تختار بيني، وبينها يا أسامة..

فقال أسامة : أرجوك لا تخيرني بينك، وبينها فإني لا أستطع العيش بدونكما..

فقالت له: أتعلم أن الفرق بيننا كبير، ولن تتركك هوارى تكسر تقاليدها، فعليك أن تنسى هذا الموضوع وتتزوج من بنات هوارى أو تختارها، وتموت في نظر هوارى كلها..

فقال لها: وما ذنبنا إن خلقنا أنا وهي من فئتين مختلفتين تأبى الخضوع لحبنا..

فقالت: هذه تقاليد آبائك وأجدادك، فعليك احترامها..

فقال : لا يا أمي لن احترمها، وسأتزوج منها شئتم أم أبيتم..

حاول أسامة اقناع والدته بتغيير رأيها، ولكنه لم يستطع، واختار شادية ليكمل معها المشوار، وليكسر تلك العادات الخاطئة التي تمنع قلبين من أن يتلاقيا.

******

أتصل أسامة على الفور بشادية، وأخبرها بما دار بينه، وبين والدته فقالت له: لا يا أسامة لن أسمح لنفسي بالزواج منك بدون رغبة والدتك، وعائلتك..

فقال لها : أمي ستقبله يومًا حينما تراني سعيدًا، وترى أحفادها..

فقالت له: ولكن هوارى لن تقبل بهذا الزواج يومًا فعليك أن تنساني، وأنا سأحاول أن أنساك..

فقال لها: ماذا تقولين؟ !تريدين أن ينسى كلًّا منا الآخر .. أتحكمين على قلوبنا بالظلم وأنت التي لطالما طالبت بالعدل؟!

فقالت له: أخاف عليك يا أسامة من أن تحرمنا هوارى من بعضنا..

فقال لها: لن يستطع أحد أن يحرمنا من بعضنا، فحبنا سيعيش للأبد شاؤوا أم أبوا..

فقالت له : هذا كلام الأفلام، والمسلسلات، ولكن الواقع يختلف كثيرًا .. أنت تعرف أن زواجنا مستحيلًا..

فقال لها باكيًا: لما اليأس .. أنسيت حبي أم أنك تعشقين أحد غيري؟

فقالت له: والله لم ولن أعشق أحد غيرك يا أسامة فأنت حبي الأول، والأخير، ولكني أخاف عليك كثيرًا..

فقال لها: لا تخافي يا حبيبة القلب .. فعلينا المحاربة لنكن معًا، فادعي الله مثلما أدعو أن يكتب لنا اللقاء في حلاله..

فقالت: أنني أدعو الله منذ أن أحببتك أن يجمعني بك وما زلت أدعو..

فقال: لن ننتظر كثيرًا سآتي لزيارتكما يوم الأربعاء القادم، وسأطلب يديك من والدتك..

فقالت له: ولكن..

قاطعها أسامة هذه المرة قائلًا: لا أريد أن أسمع مبررات سآتي .. فعليك أن تخبري والدتك بمجيئي، والدعاء لنا بالتوفيق والتسهيل..

فقالت باسمة: سمعًا وطاعةً أيها المحبوب..

فقال لها: أحبك..

ثم خجلت وقالت: وأنا أحبك أيضًا..

******

جاء يوم الأربعاء، وسافر أسامة إلى القاهرة، وقابل والدة وأخوة شادية، فقال لهم بعد أن ألقي التحية عليهم:

- أريد أن أطلب يد شادية للزواج..

فقالت والدتها: لقد أخبرتني شادية بما جئت لأجله يا بني، ولكنني أرفض هذا الزواج..

فقال لها أسامة مستفهمًا: ولما ترفضين هذا الزواج يا أم فاروق..

فقالت له: لا يمكن أن يتزوجا رجل من هوارى، وبنت من العرب أنتما تحلمان، فلن تسمح لكم هوارى بذلك..

فقال لها: سنجبرهم بالموافقة أعاهدك بذلك..

فقالت له: اعلم بأنك شابًّا لا يرفض وأي امرأة تتمناك زوجًا لابنتها، ولكنني لا أريد أن أحضر المشاكل بيدي لابنتي، فأرجوك اتركها، وشأنها أن كنت حقًّا تحبها..

فقال لها: أنا أعشقها، وهي الأخرى فلما تحكمي علينا بالموت؟!

فقالت: أن طاوعتكما ووافقت على هذا الزواج، أكن بذلك حكمتم عليكما بالموت.

ثم استطردت قائلة: من الأفضل لكما أن تنسيان بعضكما..

فقال لها متوسلًا: أحلفك بعمي وفاروق أن تقبليني زوجًا لأبنتك وأعاهدك على أنني سأتحدى هوارى وسأجبرهم على الموافقة، وسأفعل المستحيل لإسعادها..

فقالت له: ابنتي عانيت كثيرًا من ظلم أهل هذه القرية، فاتركها تعش حياتها، وعش حياتك بعيدًا عنها، وهذا آخر قرار لي، وعليكما أن تفترقا..

خرج أسامة من بيت شادية غير أبه لما يدور حوله، فأخذ يدور في الطرقات، والدمع يذرف من عينيه، وينادي في السماء رافعًا يديه:

" يا رب أنت العليم بحالنا، وبحال قلوبنا فاكتب لنا اللقاء في حلالك."

******

سمعت شادية ما دار بين والدتها، وأسامة فاتصلت به قائلة:

- لا تحزن يا أسامة فهذا قدرنا..

فقال لها: قدرنا !أي قدر هذا الذي سيحرمنا من بعضنا؟!!

فقالت مخففة عنه ما هو فيه: لن يستطيع أحد أن يحرمنا من بعضنا ..أنسيت عهدك لي..

فقال لها: لم أنساه، ولكن كلام والدتك هو الحق..

فقالت له: سأترك بيتي وآتي إليك لنتزوج، ونعش معًا، ولن يستطيع أحد إيقافنا؛ بل علينا أن نتزوج، ونضعهم أمام الأمر الواقع..

فقال لها: لا لن أتزوجك بدون علم والدتك..

فقالت له: أمي لن توافق على زواجنا، وأهلك أيضًا، وسنكن نحن ضحيتهم، وسيمت حبنا..

فقال لها: لن يمت حبنا أبدًا، ولكن أن وافقتك على هذا .. أكن غير جدير بك فعلينا أن نصبر إلى أن يكتب الله لنا اللقاء..

فقالت له: سأصبر وسأنتظرك طوال عمري..

سمعت الأم حوار ابنتها وأسامة، فزاد قلبها حزنًا، وتمنت لو أن الله يكتب لهم اللقاء قريبا..

******

حصلت شادية على درجة الماجستير في كلية الإعلام، والعديد من الدورات، وحضرت كثيرًا من المؤتمرات، وأصبحت مذيعة مشهورة يشاهد برامجها جميع الأطفال والشيوخ والشباب والنساء بمصر؛ بل وفي جميع أنحاء العالم..

ساهمت في إصلاح العديد من قرى الصعيد، والمناطق العشوائية فتم إنشاء العديد من المدارس الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، وأنشأت العديد من أدوار العبادة والمستشفيات، ونادت بتعليم

البنات، واعطائهن حقوقهن في مختلف دول العالم، وعلي مختلف العصور..

ولكن قريتها مازالت كما هي ترفض أن تعطي المرأة حقوقها، فأجلت موضوع قريتها إلى أن يصبح لها سلطة لتقم بتغييرها..

زادت نجاحاتها يوما بعد يوم، وتوسعت علاقتها، ورغم كل ذلك لم ينس قلبها يومًا والدها وأخيها، وأهل قريتها، ولم تنس جملة والدها التي كانت ترددها تكرارًا، ومرارا كلما رآها :

"تستطعين تحقيق كل أحلامك إذا أصررت عليها، وواصلت الكفاح."

ولم تنسَ أسامة لحظة فقد كان قلبها ينبض دائمًا باسمه فتدعو الله في كل لحظة أن يجمع شملهم في حلاله .. وفي ذات يوم أتصل بها أسامة ليهنئها بالنجاح وقال لها :

- أدام الله عليك النجاح، والتوفيق يا حبيبة قلبي..

فقالت له:

- أدام الله علينا نحن الاثنين النجاح، لقد علمت أنك أقمت شركة كبيرة بالإسماعلية ففرحت لذلك كثيرًا..

فقال لها: لقد اشتقت إليك كثيرًا .. فمتي سيكتب الله لنا اللقاء؟

فقالت: قريبا بإذن الله.

فقال: أتمنى ذلك فقلبي لما يعد يحتمل فراقك.

فقالت: وأنا كذلك.

******

سمعت الأم للمرة الثانية بما دار بين ابنتها، وأسامة وأدركت مدى معانتهم، فجمعت أبنائها وأخبرتهم عن حبهما فأعترض كمال، وقال: ماذا تقولين يا أمي؟ !أتريدين أن تتزوج أختي من شاب من هوارى؟

ثم استطرد قائلًا: أتريدين أن تجلبين التعاسة على حياتها، وأنت تعلمين أن هوارى لن تقبل يومًا بهذا الزواج..

فقالت الأم: اعلم ذلك، ولكن الله زرع هذا الحب في قلوبهم فلما نحكم على قلوبهم بالعذاب..

فقال كمال: سينسيان بعضهما، وسيصبح كلا منهما ذكرى في حياة الثاني، صدقيني يا أمي فأنا قد جربت ذلك ونسيتها بعد أن

تزوجت وأنجبت..

فقالت الأم: أتضحك عليَّ أم على حالك؟!ا علم جيدًا أنك لم تنسها، ولو نسيتها حقًّا لما سميت ابنتك على اسمها..

لم يستطع كمال أن يرد؛ بل استطردت أمه، قائلة: لا أريد أن أحكم على ابنتي بالموت مثلما حكمت أمها عليها بالموت، وزوجتها بشخص غيرك..

فقال كمال: وما بأيدينا أن نفعل يا أمي فهذا قدرهم؟

فقالت الأم: سأجعلها تتصل با أسامة وسيتزوجا..

فقال الأبن: ستحكمين بهذا عليهما بالموت .. أرجوك لا تفعلي..

فقالت الأم: لا يا بني لقد فرقت بينهما من قبل، ولن أفعلها مرة أخرى..

كانت هذه أخر كلمات الأم لابنها ثم ذهبت إلى غرفة ابنتها لتخبرها بالموافقة على زواجها من أسامة ولكنها وجدت ابنتها مستلقيه على الفراش بدون حركة فأسرعت مناديه ابنها باستدعاء الطبيب..

******

أتى الطبيب، وقام بفحص شادية ثم أمر على الفور بنقلها إلى المستشفى لكي لا يتسرب السم في جميع أنحاء جسدها فنقلت، وتم إجراء عملية استئصال أحد أطرافها السفلي" الرجل اليمنى "التي تسرب السم فيها، وذلك خوفًا من أن يتسرب السم منها إلى أجزاء جسدها الأخرى.

وقام الأطباء بإجراء عملية زراعة أطراف" رجل يمني"لها ثم أمر بأن تظل شهرًا بالمستشفى لا يزعجها أحدًا..

امتلأت المستشفى بأناس من داخل، وخارج مصر جاءوا للاطمئنان على شادية وقلوبهم تدعو لها قبل ألسنتهم، وأرادوا مقابلتها، ولكن الطبيب منعهم من ذلك..

ثم جاءت الشرطة لاستجواب شادية عن الجاني، فصرح لهم الطبيب بالدخول على أن لا تتعدى مقابلتها لهم ربع ساعة، وبعدها يتركونها لكي تستريح..

دخل رئيس المباحث إلى شادية فسألها عن سبب حدوث الجريمة ..فقالت وهي مستلقية على الفراش:

- شربت شاي المخصص الذي أحضرته لي خادمتي ثم لم أدرِ ما حدث بعد ذلك، وعندما استيقظت، وجدت نفسي بالمستشفى مستلقية على الفراش..

تيقنت الشرطة بأن خادمة شادية هي من قامت بالجريمة، فبحثوا عنها في كل مكان، وذهبوا إلى شقتها بالقاهرة الجديدة التي كانت تقيم فيها هي، وزوجها، وابنها، ولكنهم لم يجدوا لها أي أثر .. ثم سألوا عنها كل من يعرفها، ولكن الجميع قال" :إنه لم يعرف عنها شيئًا منذ أكثر من شهرين"إلا بواب العمارة الذي قال:

- قبل أن تأتي هي وعائلتها إلى القاهرة، كانت تسكن بسوهاج، ولكن لا يعرف مكان إقامتها بالتحديد في سوهاج .. اتصل رئيس المباحث بشرطة سوهاج، وأعطاهم اسم الخامة أمرًا بالقبض عليها واستجوابها..

بحثت الشرطة عنها في كل مكان بسوهاج، وسألوا جميع أهل القرى الموجودين بسوهاج، فوجدت في إحدى القرى بها حيث إن أحد المارة كان يعرفها، فدلهما على سكنها ثم قامت الشرطة باقتحام منزلها، والقبض عليها..

حاولوا استجوابها لمعرفة الجاني الحقيقي، ولكنها أبت الاعتراف في بداية الأمر، وقالت إنها لا تعرف شيئًا عن هذه الجريمة، وإنها تركت القاهرة بسبب اتصال والدتها بها وإخبارها بأن والدها مريضًا، ويريد رؤيتها فتركت كل شيء بالقاهرة، وأتت إلى سوهاج..

لكن رئيس المباحث لم يقتنع بكلامها، وأصر على استجوابها لعدة مرات، وهددها بأنها ستتحمل الجريمة بمفردها وسيوقع بها أشد العقوبات إذا لم تعترف عن الجاني الحقيقي..

خافت الخادمة من تهديد رئيس المباحث لها، فاعترفت بأن شخص يدعى" أشرف"من قرية شادية عرض عليها أن تفعل ذلك فأبت، ولكن هددها إن لم تفعل ذلك سيقتل ابنها ويدمر عائلتها

فوافقت ثم أعطاها5000 جنيه وأمرها بأن تترك القاهرة، وتذهب إلى مكان لا يعرفها فيه أحد فجاءت إلى سوهاج..

أمر بعد ذلك رئيس المباحث بحبس الخادمة أربعة أيام على ذمة التحقيق على أن يراعى لها التجديد في الميعاد..

ثم اتصل بشرطة قنا، وطلب منهم القبض على أشرف بعد أن أعطاهم كل التفاصيل عنه، فذهبت قوة إلى قرية شادية للبحث عن الشاب، ولكنهم لم يجدوه في بيته ولا في القرية كلها فقاموا باعتقال زوجته، وعندما علم أشرف بذلك قام على الفور بتسليم نفسه لكي يتركوا زوجته، واعترف بجريمته، فأمرت الشرطة أيضًا بحبسه أربعة أيام على ذمة التحقيق على أن يراعى التجديد له في الميعاد، وقاموا بالإفراج عن زوجته.

******

وصلت الأنباء إلى جميع أنحاء قرية شادية، فمنهم من حزن حزنًا شديدًا عليها، ولكنه لم يبدِ حزنه، ومنهم من شمت بها وقال :

- هذا من نتيجة أعمالها فلتتحمل..

أما نساء وبنات القرية فعم الاضطراب بينهم، وحزنوا حزنًا شديدًا عليها وتمنوا لو أتيحت لهم الفرصة ليذهبوا إليها، ويكونوا بجوارها في هذه اللحظات، ولكن هيهات .. هيهات أن يسمح لهم أحد بالذهاب فكتموا هذه الأماني، والأحزان بقلوبهم..

أما سما فقد زاد بها الكيل، وبلغ الحزن على صديقتها منها مبلغًا، فعزمت على أن تساند صديقتها، وأن تفعل شيئًا لتغيير هذه القرية، فخرجت تهلل في جميع الطرقات باسم صديقتها وتقول:

- أين العقول الواعية؟ !أردتم قتلها لأنها أرادت أن تمنحنا الحرية وحقوقنا ..لو كنتم حيوانات لكنتم شعرت بأحزانها، ورحمتموها، وسهلتم مهمتها .. أترفضون أن تعطونا الحقوق والاحترام، ونحن اللاتي أنجبناكم، وسهرنا الليالي لإرضائكم، وفعلنا المزيد من أجلكم ..لم نطالب بشيء إلا منحنا الاحترام والحقوق والحرية فلماذا تأبي

قلوبكم أن تسمعنا؟ !أجبرتمونا أن نكن جواري لكم فرضينا بذلك، ولكن لماذا كل هذا الظلم؟

ثم أخذت تنادي النساء وتقول: اخرجوا أيتها النساء، وطالبوا بحقوقكن لكي يمنحون إياها، وساندوا تلك التي ضحت بكل شيء من أجلكم فضحوا لأجلها ولأجلكم ولو لمرة واحدة..

فأخذ بعض من أهل القرية يضربونها بالحجارة، فزادت الدماء في وجهها، ولكن لم تنتبه إلى ذلك، واستمرت تطالب النساء بالخروج، فاستجابت لها بعض النساء أما البعض الاخر فلزمن بيوتهن خوفا من عاقبة ذلك..

ذهب أحد من أهل القرية إلى حيث يعمل فارس فأخبروه بما تفعله زوجته فذهب إليها على الفور، وحاول منعها عما تفعل، ولكنها أبت ذلك وأخذت تبكي بحرقة على حال النساء بالقرية، واقنعته على الانضمام إليها، ولكنه أبي في البداية، وحاول منع أهل القرية من المساس بزوجته، وقال لهم:

إنها أصابها الجنون لكي لا يؤذيها أحد، ولكن أهل القرية لم يصدقوا ذلك فاستمروا بإلقاء الحجارة عليهم ثم أطلقوا النار عليها فماتت، وهي تقول لزوجها:

أردت الشهادة فحصلت عليها فلا تحزن يا زوجي العزيز فسأنتظرك في السماء، ولكن عليك أن تساند صديقتي، وتقف ضد الظلم، وأن تكمل المشوار، وتحقق أحلام ابنتنا وتعليمها التي حرمت أنا من تحقيقها وتكن لها درعًا قويًّا مثلما كان أحمد درعًا قويا لابنته .. ثم استطرت تقول: عاهدني يا فارس أن تكمل تعليم ابنتي وتحقق آلامها

فقال لها، والدموع تزداد في عينيه : أعاهدك يا حبيبتي .. أعاهدك

وبعد ذلك دب الصمت في جميع أنحاء القرية واستسلمت الفتيات للأمر الواقع..

******

علم أسامة بما حدث لشادية، وسما فأسرع بالسفر إلى القاهرة تاركًا كل أعماله في الإسماعيلية، ثم ذهب إلى المستشفى وعيناه طوال الطريق تذرف الدموع، فقابلته والدتها فسألها عن حال شادية فقالت له: الدكتور أخبرنا أنها ستصبح بخير، ولكنها ستظل طوال عمرها تمشي بعكاز أو على كرسي متحرك..

فقال أسامة باكيًا:

- ما ذنب هذا الملاك البريء ليتحمل كل هذا العناء .. أرادت إصلاحًا، فأرادوا قتلها، يا لقلوب هؤلاء القوم المغلقة.

فقالت الأم، والدموع تنهمر من عينيها:

- لا أدري يا بني، ولكن يمكن يكون ذنبها أنها ولدت وسط قوم كهؤلاء لا يعرفون للحكمة والحب سبيلًا .

ثم استطردت قائلة: أريد أن أزوجك إياها يا بني .. فهل ستقبل الزواج منها، وهي على هذه الحالة؟

فقال أسامة وهو يمسك يديها: ماذا تقولين يا أم فاروق؟ أتسألينني أقبلها أم لا؟؟ هي حب حياتي، وملاذي فمهما كانت حالتها لن أتخلي عنها وسأكن راغب في الزواج منها وفخورًا بها طوال عمري

فقالت له: وها أنا ذا منحتكم الفرصة لتكونا معا فتزوجها، وحافظ عليها دائمًا يا بني..

فقال لها وقد تحول حزنه لابتسامة: أحقا ما تقولين يا أم فاروق.

فقالت له: حقا يا بني فلن أجد أفضل منك لتكن زوجًا لابنتي.

فقال لها شاكرًا: أشكرك على منحنا هذه الفرصة يا عمتي..

ثم استطرد قائلًا: أتسمحين لي بمنادتك عمتي؟

فقالت له: ناديني بما شئت فأنت ستكن زوجًا لابنتي، وابنًا لي من اليوم.

ثم قالت: عاهدني على أن ترجع بسمتها مرة أخرى التي ذهبت بوفاة والدها وأن تبقيها سعيدة طوال حياتها، وتحميها، وتساندها لتحقق كل أحلامها..

فقال أسامة: أعاهدك يا عمتي على ذلك .. أعاهدك.

أسرع أسامة بالدخول إلى غرفة شادية بعد أن استأذن الطبيب، فوجدها تنظر إلى رجلها، وتبكي فمسح بيديه تلك الدموع التي انسالت من عينيها، وقال لها:

- لا تبكي يا حبيبتي فإن الله ما أخذ منك شيئا إلا ليعوضك بأفضل منه..

ثم استطرد قائلًا: وبعدين ألا يكفيك بأن والدتك وافقت على زواجنا، وسيتحقق حلمنا قريبًا الذي طالما انتظرناه..

فقالت مستغربة مما يقوله: وافقت على زواجنا!!

فقال باسمًا: نعم .. وسنتزوج بعد خروجك من المستشفى..

فقالت له والدموع تذرف من عينيها:

- أتدرك ما تقوله يا أسامة أنا أصبحت عاجزة لن أفيدك بشيء، فالأفضل لك أن تتركني وتتزوج بفتاة في استطاعتها أن تمنحك السعادة، وكل شيء تحتاجه..

فقال لها: لن تستطع أي فتاة غيرك أن تمنحني السعادة..

ثم استطرد قائلًا: أحبك ولن أتخلى عنك طيلة حياتي .. فهل ستقبلين أن أكن زوج لك؟!!

فقالت له: أنت مشفق على الآن، ولكنك ستندم بعد هذا فأرجوك أنساني، وتزوج بغيري..

فقال لها: لو كان في استطاعتي أن أنساك لكنت نسيتك، وتزوجت بغيرك حينما طلبت أمي ذلك ولكن قلبي لم ولن ينبض لفتاة غيرك، فأنت حبي، وعشقي، وجنوني، وكل شيء لي بهذه الحياة يا أميرتي..

فقالت له كأنها تذكرت شيئًا غائبًا عنها: لن تتركنا هوارى نتزوج صدقني.

فقال لها مقاطعًا: لا تخافي يا حبيبتي فلن يستطع أحد على وجه الأرض أن يمنع زواجنا، فو الله لن يتركنا الله، وسنعش معًا طيلة العمر

فقالت له: أتمني ذلك.

ثم حاول أسامة أن يجعلها تبتسم، ولكن دون جدوي، وأمره الطبيب بعد ذلك بتركها لكي تسترح، فودعها أسامة، وخرج..

******

خرجت شادية من المستشفى تستند على عكازًا ليساعدها على المشي، وبعد شهر من خروجها من المستشفى تزوجت بأسامة، وتم إقامة حفل زفاف للعروسين بأفضل فنادق القاهرة، وقد حضر هذا الحفل العديد من الأشخاص منهم وزراء، ومسؤولين حقوق المرأة، وصحافيين، وإعلاميين، وغيرهم من الأشخاص..

ثم سافرا العروسين إلى انجلترا لقضاء شهر عسل، وكان هذا الشهر من أجمل أيام حياتهما؛ حيث عاشا كل لحظة منه في سعادة تامة، وحبًّا لا يقارن، وحاول أسامة في هذا الشهر تعويض شادية عن كل معاناتها السابقة، ورسم الابتسامة في قلبها قبل وجهها..

ثم انتقلا العروسين إلى فرنسا، وقضيا فيها شهرين ثم عادا إلى القاهرة فرحين، ووجدوا والدة شادية وأخوتها في انتظارهم بالمطار، فسلما عليهما، وانتقلا إلى بيت آخر كان قد أعده أسامة قبل أن يسافر للعيش فيه هو، وزوجته بعدما رفض أن يعيش في بيت شادية..

وبعدما عاد أسامة إلى القاهرة أنهي كل أعماله بالإسماعيلية، وأنشأ شركة للاستيراد والتصدير بالقاهرة، فانتشر اسم شركته في وقت قصير، وأصبح من أكبر رجال الأعمال بها..

أما شادية لم تمنعها اعاقتها من مواصلة كفاحها، فاستمرت في الأعمال الخيرية، والحث عليها في برامجها ولقاءاتها، وأعدت العديد من البرامج التي تطالب بحقوق المرأة، وكتبت العديد من المقالات في الصحف اليومية تطالب فيها بمنح المرأة حقوقها فحصلت على العديد من الجوائز، وأصبحت رئيسة للهيئة القومية للمرأة..

وبعد شهور قليلة أنجبت طفلًا أسمته على اسم والدها" أحمد" فزادت سعادة العائلة به، ولكن قلبها كان يحدثها دائمًا بأن هذه السعادة لن تدم لها..

وبعد مولد الصغير بثلاثة أشهر تم إطلاق النار على زوجها بشركته، ونقل إلى المستشفى فطلب رؤيتها فاتصلت بها إحدى العاملات بالمستشفى، وأخبرتها فتركت كل شيء وأتت إلى المستشفى

غير مدركة ما حدث، ولم تأبه لأحد فقد كانت طوال الطريق تدعو الله أن ينجي زوجها..

وبمجرد وصولها إلى المستشفى، سألت عن الحجرة التي نقل إليها زوجها فأخبرتها احدي العاملين بقسم الاستقبال أنه في الغرفة (12) فذهبت على الفور بدون أن تستأذن الطبيب، فوجدت زوجها في آخر أنفاسه فاقتربت منه، والدموع تفيض من عينيها قائلة له:

- لا تقلق يا حبيبي فلن يحدث لك شيء فأنت بطل، وستقم منها لقد وعدتني أن لا تتركني وأعرف أنك إذا وعدت أوفيت..

فقال لها ناظرًا إليها والدموع في عينيه:

- هذه لحظاتي الأخيرة بالحياة، وأشكر الله أن منحني آخر هذه اللحظات وأنا ناظر إلى عينيك، لقد حققت كل أحلامي بك فلا حاجة لي بالحياة بعد ذلك، أما أنت مازلت لم تحققي كل أحلامك فلا تجعلي موتي يكسرك، وانهضي بعدي مثلما عرفتك، وغيري هذه العادات التي منعتنا من أن نكمل العمر سويًّا، وأخبري أحمد حينما يكبر أنني أحبه كثيرًا وأردت تربيته، ولكن

الله لم يرد فربيه تربية سليمة مثلما رباك والدك، وأحكي له عني حينما يكبر وسأنتظرك بالآخرة ..

ثم قال:

- أحبك..

هذه آخر كلمة نطق بها لسانه بعدها انتقلت روحه إلى السماء .. فأخذت شادية تصرخ، وتناديه :

- أرجوك لا تتركني لوحدي كما وعدتني .. لقد أخبرتك من قبل أنهم لن يتركونا ننعم ببعضنا، وسيستكثرون علينا هذه السعادة فطمأنتني بأنك لن تتركني .. فلما اليوم تركتني؟ أرجوك انهض.

فمات أسامة، وترك جروحًا في قلب شادية لا يستطيع أحد ولا الزمن مداواتها، ثم دخلت شادية في غيبوبة لمدة شهر.

******

امتلأت المستشفى للمرة الثانية بأناس من خارج، وداخل مصر جاءوا للاطمئنان على شادية والتخفيف عنها فقال لهم الطبيب إنها دخلت في غيبوبة، وأن عليهم أن يغادروا المستشفى حتى لا يحدث تصادم وازدحام بها..

ثم فاقت شادية من غيبوبتها فلم تلقَ أسامة بجانبها، ففاضت عيناها بالدموع حينما تذكرت ما حدث، وأرادت أن تقذف بنفسها من شرفة الغرفة التي كانت تقيم بها فأسرعت الممرضة بإمساكها وأعطتها حقنه مهدئة..

ثم فاقت بعد يومين وقالت:

- والله يا أسامة لن أترك الجاني يهرب، وسأنتقم لك..

ثم استطردت قائلة:

- وأعاهدك أنني سأكمل المشوار بعدك، وسأغير تلك العادات والمعتقدات التي حرمتني منك..

ثم نادت على أمها بأن تحضر لها أحمد فأحضرته لها، وخرجت ..ثم حضنت شادية ابنها، وعيناها تذرف بالدموع، وتقول:

- لقد حرمك الله من أباك، وأنت صغير يا كبدي، ولكن أعاهدك على ألا أترك الجاني يفر بعملته، وسأغير هذه العادات يا بني قبل أن تكبر ليكن تاريخي وتاريخ أباك وأجدادك صرحًا لك من بعدنا، وأعاهدك على أن أكن لك أمًّا وأبًا في نفس الوقت..

وقاطعها رئيس المباحث الذي دخل ليستجوبها، فقالت إنها لا تعرف شيئًا؛ لأنها كانت في بيتها، وزوجها أطلق النار عليه في مكتبه، وإن أعداء النجاح له كثيرون، ولكنها تشك بأن يكن الجاني من أهل قريتها، وأن على الشرطة أن تحميهم، وتبحث عن الجاني .. فطمئنها رئيس المباحث ووعد بالقبض على الجاني في أسرع وقت..

وبعد خروج رئيس المباحث، دخلت الأم لتطمئن على ابنتها، فقالت لها إنها بخير، وأعطتها أحمد ليستريح، وأوصتها بالاهتمام به إلى أن تخرج..

ثم طلبت منها أن تتركها بمفردها، ففعلت الأم ذلك، وتركت ابنتها لبكائها والآمها..

******

خرجت شادية من المستشفى وذهبت إلى بيت زوجها لتعيش فيه هي وولدها، فاعترضت الأم على ذلك، ولكن شادية لم تهتم باعتراض والدتها وأصرت على العيش في بيت زوجها..

فكانت شادية تقضي معظم وقتها مع ابنها تلاعبه وتلعب معه، وأحست بأن هذا الطفل هو تعويض الله لها عن كل معاناتها، فتعلقت به تعلقًا شديدًا؛ حيث إنه كان يلازمها في كل مكان تذهب إليه وانقطعت عن إعداد البرامج وحضور اللقاءات وغيرها في هذه الفترة، ولزمت بيتها طوال الليل والنهار مع صغيرها..

ثم حدث ما لم تتوقعه شادية؛ حيث جاءت والدة أسامة وأخته لزيارتها، وطلبت والدته منها أن تسامحها عن كل ما قالته في حقها، واعترفت بأنها كانت خاطئة حينما منعت ابنها من الزواج منها..

ثم سالت الدموع من عينيها، وطلبت منها أن تسمح لهما برؤية حفيدها كل فترة فوافقت شادية، واستقبلتهم أحسن استقبال، ثم قضوا يومين عندها، وودعوها راجعين إلى القرية...

أما الشرطة فكانت تبحث عن الجاني في كل مكان، واستجوبوا كل العاملين بالشركة ولكن الجميع لا يعرف شيئًا .. ثم حدث رئيس مباحث القاهرة شرطة قنا، وطلب منهم البحث عن الجاني بالقرية..

******

رجعت أم أسامة إلى قريتها، وهي عازمة على مساعدة شادية لاكتشاف الجاني إذا كان من هوارى، ولحسن حظها في إحدى الليالي سمعت محادثة دارت بين ابن أخيها الذي كان يقيم معهما، وصديقه من هوارى وهو يقول: حمد لله لقد استطعنا التخلص من أسامة، ومن العار الذي جلبه لنا، ولم تكتشف الشرطة أمرنا، وكلها شهر أو شهرين، وستيأس الشرطة من اكتشاف الجاني وستؤيد القضية ضد مجهول.

فقال له صديقه: حمدا لله لقد مات وارتحنا منه، ولكن علينا التخلص من ابنه قبل أن يكبر هذا الطفل، ويصبح من العرب، ويجلب هو أيضا لنا العار..

ثم استطرد يقول: لقد دمر أسامة تقاليدنا، وتقاليد آبائنا، وها نحن قد قتلناه، ليكن عبرة لأمثاله ممن يفكر في مخالفة تقاليد هوارى، والزواج ببنت من العرب..

سمعت أم أسامة هذه المحادثة، فطارت إلى ابنتها، وأخبرتها ما سمعته، وطلبت منها أن تتصل بزوجة أخيها..

اتصلت خلود على الفور بشادية، وبعد أن سألتها عن حالها، وحال ابن أخيها أعطت الهاتف لوالدتها، وأخذت تراقب ما يحدث بالخارج .. أخبرت أم أسامة شادية بما سمعته فطمأنتها شادية بأنها ستنتقم منهم، وأنه يجب عليها أن تأخذ حذرها، ولا تجعل ابن أخيها يعلم بما سمعته..

ثم أسرعت شادية بالاتصال برئيس المباحث، وإخباره ما قالته لها أم أسامة فطمئنها بأنه لن يدعهم يفلتان منه فأتصل على الفور بشرطة قنا، وطلب منهما الإيقاع بالشخصين ثم القبض عليهم..

نفذ رئيس مباحث قنا ما طلبه منه صديقه، وأعد كمينًا للشخصين استطاع من خلاله ايقاعهما والقبض عليهما، وتمَّ إعدامهم أمام جميع أهل القرية ليكونا عبرة لأمثالهم بها....

******

أهتمت شادية بابنها اهتمامًا كبيرًا، فكانت تقضي وقتها تلاعبه، وتشاطره، وتنظر في ملامحه لترى فيها زوجها؛ حيث إنه كان يشبه أباه إلى حد كبير .. ثم استطاعت الحصول على الدكتوراه في كليتها، وأخذت العديد من الدورات، وحضرت العديد من اللقاءات، والمؤتمرات الصحفية..

وفي يوم مناقشة الدكتوراه قال لها المشرف على بحثها أمام مرأى من الناس:

- إنك مثالٌ حيٌّ للكفاح، والطموح ولامرأة عربية تستحق أن تدرس في كل مدارس العالم، وبكل اللغات لتواكب بلدنا التقدم والازدهار..

ثم أحنى رأسه لها، وطلب من الجميع أن يفعل مثله تقديرًا وإجلالا لما فعلته من أجل بلدها وما تحملته من عناء، وصعاب..

وفي هذا اليوم تم ترشيحها لمنصب وزيرة الثقافة بمصر، ففرحت والدتها وأخوتها، وجميع من يعرفها فرحًا شديدًا لأنهم يعرفون أنها جديرة بالحصول على هذا المنصب بل وأعلى منه..

فخضعت لها قريتها واستطاعت بعد ذلك تعميرها، فأنشئت بها المدارس لجميع المراحل" الابتدائية والإعدادية والثانوية، والمستشفيات وأدوار العبادة، وأنشأت فصول محو الأمية لنساء القرية، وبناتها غير المتعلمات، وأقامت العديد من الندوات، والمؤتمرات بها لتوعيه الشباب، والبنات بأهمية دور المرأة في المجتمع وأنشأت العديد من قصور الثقافة بهذه القرية..

ثم استطاعت تغيير كل المعتقدات، والعادات الخاطئة بالقرية، وأزالت الفرق بين الهوارى، والعرب فأصبح الشباب، والبنات يتزوجون منها، ومنحت المرأة العربية الاحترام وأعطتها جميع الحقوق التي سلبت منها سواء في قريتها أو في مصر كلها، وأنشأت جمعيات للمرأة تطالب بحقوقها، وأنشأت بها صناديق خاصة لقبول شكاوى المرأة العربية، وأمرت القائمين على هذه الصناديق بإيجاد الحلول المناسبة لهذه الشكاوى..

واستطاعت أن تعود هي وعائلتها إلى قريتها للعيش بها مرفوعة الرأس، وندم أهل القرية على ما فعلوه في حقها، وطلبوا منها أن تنسي الماضي، وتبدأ صفحة جديدة، واعترفوا بفضلها عليهم، وألحقوا بناتهم بفصول محو الأمية، أما بناتهم الصغيرة ألحقوها بالمدارس، وعزموا على اكمال تعليمهم وكل من بالقرية دعا لوالدها، وقال إنها نعمة من الله أتت للقرية لتغييرها..

وجاء خالها حمزة ولأول مرة بحياته اعترف بأهمية التعليم، وندم على ما فعله في حقها، وعلى عدم تعليم بناته، ثم ألحق جميع بناته بفصول محو الأمية.

ساد الرخاء بهذه القرية وخرجت الفتيات، والبنات الصغيرة مهللة في جميع الطرقات باسم شادية وسميت القرية فيما بعد باسمها..

ثم ذهبت شادية إلى قبر أبيها، وقالت وهي تقبله:

- ها أنا ذا قد حققت أحلامك وأحلامي يا أبي وقد أوفيت بجميع عهودي لك..

فكانت هذه آخر كلمات نطقتها، ثم ماتت بعدها على قبر أبيها، وهي تنطق الشهادة وتم دفنها بجوار قبر أبيها، وحضرت العديد من القيادات، والوزراء، والرؤساء وأناس من جميع أنحاء العالم جنازتها، وتمت إقامة تمثال لها بالقرية تمجيدًا لما فعلته..

"هذه قصة شادية التي استطاعت أن تغير قريتها، وتنشر الخير في جميع أرجاء العالم، فهي مثال حي لامرأة مصرية، ليس لها مثيل، لقد ضحت بكل شيء من أجل أن تحصل بنات ونساء قريتها؛ بل ونساء العالم العربي كله على الحب والاحترام وجميع الحقوق، ولولاها لما كنت أنا هنا الآن."

كانت هذه آخر كلمات قالتها" شادية ابنة سما"في برنامجها الإذاعي "كفاح امرأة"ثم ودعت جمهورها ولملمت أورقها وغادرت الاستديو..

بعد مغادرتها للاستديو أكتبت قصيدة لها بعنوان" العلم يكفي"علي صفحة البرنامج لتكن تعبيراً عن حلقتها الأخيرة كالتالي:

قالوا بأن العلم لا يجدي، والبيت

لا يكفي، والبنت كمالة للعدد، ولا تجدي.

أسموهم العار منذ الصغر،

وبرمجوهم بحلم الفستان المزخرف بالفضي.

أوهموهم بأن الأحلام لا تكفي

لقوت يوم، وجملوهم للعرائس بالورد.

يا أهل الصعيد، ويا منبع الكرم
أتقتلون أحلام بناتكم بالورد؟.!
أتجبروهم على العيش بدون
أحلام، والبحث عن فارس ل يجدي؟.!
قسمًا بربي يا أهل الصعيد إن
العلم للبنات يرفع أوطان لا يفني.
قال لي الخال يومًا بأن العريس
جاه، والأحلام متاهة لا تجدي.
وسعي لحرماني من التعليم،
والأحلام، وترسيخ فكرة الزواج في ذهني.
فتركت الأحلام ضائعة،
وسعيت للبحث عن فارس أناني لا يجدي.
فوجدته مثل عادة أهل الشرق
يسعي لأحلامه، ولا يعي لأحلامي سنتي.
أصبحت له أمًّا، وأختًا، وزوجةً،

وبنتًا، وفي الآخر أنكر خيري.

فأصبح ذا مال، وجمال بتعبي،

وتركني أصارع الموت وحدي.

هنا وطن، وهنا ورد،

وهنا أحلام الفتيات تتدهور بالعشق.

فيا أهل العرب استوصوا بنسائكم خيرًا

فهذه وصية المصطفي لأهل الأرض.

امنحوا العلم لأمهاتكم، ونسائكم،

وبناتكم فإن العلم والله يكفي.

وعلموهم بأن شعاع العلم

قادر على إضاءة كل من بالكون.

علموهم بأن فارس الأحلام

مرحلة تالية للعلم.

شجعوهم على اكمال الأحلام،

ورسم الأوطان بالفضي.

علموهم بأن المبادئ

تأتي من التمسك بالعلم.

علموهم بأن القرآن، والدين

الإسلام أجمل من بالكون.

أورثوهم العلم يا أهلي،

وعلموهم أن حب الأوطان يغني.

تمت بحمد الله

شكر خاص

لأبي الذي علمني أن التعليم هو سر الحياة، وكافح معي للممات، وتحدى معي كل العقبات لكي أصل لكل أحلامي" رحمة الله عليه..."

ولأمي التي علمتني أن بالصبر والعمل يصل الإنسان لأعظم الآمال، والدرجات ..ادامها الله بحياتي...

ولأخوتي الذين تعلمت منهم أن حب المجتمع واحترام ومساعدة الناس هم سر النجاح بالحياة...

ولأساتذتي وجميع أهل قريتي الذين تعلمت منهم أن بالتحدي يستطيع الإنسان اختراق الجبال للوصول للأحلام...

ولجميع صديقاتي" شيماء وأميرة وآية وأسماء"اللاتي حرصن على قراءة كل ما كتب في هذه الرواية منذ لحظة ميلادها، وعاشا معي هذه الرواية، وشجعاني على أن أكملها..

ولكل أب وأم تحملا المزيد مع بناتهم ليكملن تعليمهن، وخاضا معهن كل المعارك لتحقيق أحلامهن، ورسخا في أذهانهن كل المعاني النبيلة..

ولكل بنت واصلت، ومازالت تواصل لتحقيق أحلامها، والسعي لتطور بلدها..

وشكرًا للقارئ الكريم الذي اهتم بقراءة روايتي إلى النهاية، ووصلت إليه رسالتي..

شكرًا لكم جميعًا

******